# البلاغة
# في خطبة قطري بن الفجاءة
# " التحذير من الدنيا "

الدكتورة

**عايدة عبد العزيز محمد زعلوك**

مدرس بقسم البلاغة والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بالزقازيق ـ جامعة الأزهر

العدد الحادي والعشرون

للعام ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

أحمدك ربي حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ملء السماوات والأرض وما بينهما وملء ما شئت ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – صلاة وسلاماً دائبين دائمين لا يعتريهما انفصام ولا انفصال إلى يوم الدين ، وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين.

## أما بعد

فحذرنا الله – عز وجل من الركون إلى الدنيا وزخرفها وزينتها والغفلة عن الآخرة فقال تعالى : " فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُور "(١) وأخبرنا أن الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار فقال تعالى : " إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَار " (٢)

وأيضاً أخبرنا الله عز وجل – أن ما أعطاه لنا في الحياة الدنيا من نعيم في شكل مال وأولاد وصحة ونعم أخرى هو متاع نتمتع به في الدنيا وزينة ولكن ما أعده الله – سبحانه وتعالى – لأهل طاعته وولايته خير وأبقى لأنه نعيم دائم لا ينقطع.

فقال تعالى : " وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون "(٣) ألم تكن لنا عقول نتدبر ونتأمل بها الفاني من الدائم ؟ ، ولأن النفس تحب القريب العاجل ، وتميل إليه حذرنا أن نكون مثل هؤلاء الأقوام الذين يحبون الدنيا وزينتها ويغفلون عن الآخرة فقال عنهم – عز

---

(١) سورة لقمان آية ٣٣
(٢) سورة غافر آية ٣٩
(٣) سورة الإنسان آية ٢٧

وجل – إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً " ، وأخبرنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن من زهد في الدنيا دخل الجنة وأن من ركن إليها وإلى ملذاتها وشهواتها دخل النار فقال : " حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات " (١).

وعلى كثرة ما ورد من آيات قرآنية كريمة وأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في التحذير من الدنيا إلا أن البعض يتمسك بها ويغفل عن الآخرة ، وكان لقطري بن الفجاءة خطبة في التحذير من الدنيا ، تذكرة للغافل ، ولنصح هؤلاء الأقوام الذين لم يمثلوا لأوامر الله ونواهيه وتوبيخهم وتقريعهم على صنيعهم ؛ لذا اخترت هذه الخطبة لأنها للتذكرة من باب " وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِين "(٢) ولما حوته من كنوز بلاغية.

وجاء هذا البحث بعنوان : " **البلاغة في خطبة قطري بن الفجاءة " التحذير من الدنيا** "

والدراسة فيه تقوم على التحليل البلاغي وقد جاءت على النحو التالي : مقدمة وتمهيد واثنا عشر مبحثاً وثبت للمصادر والمراجع.

- **المقدمة** : تناولت فيها سر اختيار البحث وذكرت فيها خطة البحث.
- **التمهيد** : ويشمل على :

١- التعريف بالشاعر. ٢- التعريف بالخطابة وتطورها.

٣- نص الخطبة. ٤- غرض ومضمون الخطبة.

- **المبحث الأول** : التحذير من الدنيا ، وذكر صفاتها واستشهاده من القرآن الكريم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،حديث رقم٢٨٢٢ ج٠٤/٢١٧٤ حديث صحيح

(٢) سورة الذاريات آية ٥٥

- **المبحث الثاني** : زوال نعيم الدنيا وفنائها.
- **المبحث الثالث** : اختيار الإنسان نجاته أو هلاكه.
- **المبحث الرابع** : التذكير بأكثر من اغتروا بالدنيا.
- **المبحث الخامس** : مظاهر تقلب الدنيا.
- **المبحث السادس**: تصوير مشهد الموت ، ويوم القيامة،واستشهاده من القرآن الكريم
- **المبحث السابع** : حال المغترين بالدنيا من الأقوام السابقة في الدنيا قبل الموت.
- **المبحث الثامن** : حال الدنيا بإدبارها وقسوتها عن المغترين بها.
- **المبحث التاسع** : التنفير من الدنيا.
- **المبحث العاشر** : حال المغترين من الأقوام السابقة بعد الموت.
- **المبحث الحادي عشر** : ختام الخطبة.
- **المبحث الثاني عشر** : تعقيب على الخطبة ويشمل على :

  ١- **المحور الأول** : من حيث فكرتها وهدفها.

  ٢- **المحور الثاني** : من حيث العاطفة.

  ٣- **المحور الثالث** : من حيث الأساليب البلاغية.
- **الخاتمة** : وذكرت فيها أهم نتائج البحث.
- **ثبت للمصادر والمراجع.**

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب

**د/ عايدة عبد العزيز محمد زعلوك**

**مدرس بقسم البلاغة**

**كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق. جامعة الأزهر**

# التمهيد

وفيه :

١ ـ التعريف بالشاعر

٢ ـ التعريف بالخطابة وتطورها

٣ ـ نص الخطبة

٤ ـ غرض ومضمون الخطبة

# ١ ـ التعريف بالشاعر

## قطري بن الفجاءة :

تعريفه : " الخارجي الأزرقي الذي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة ، وهو قطري بن الفجاءة والفجاءة لقب لأبيه لأنه غاب إلى اليمن ثم أتى قومه فجاءة ، واسمه جعونة بن مازن بن يزيد بن زياد بن خنثر بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك[١] ، " أحد بني كنانة بن حرقوص وكنيته أبو نعامة في الحرب وفي السلم أبو محمد ، وهو أحد رؤساء الأزارقة كان آخر من بعث إليه سفيان بن الأبرد الكلبي"[٢]،وقال ابن عبد ربه: قطري بن الفجاءة " من بني مازن بن عمرو بن تميم "[٣]

قيل قطري اسمه وهو المشهور به في كتب اللغة والأدب فقد ذكره باسمه قطري بن الفجاءة الجاحظ فقال :"قطري بن الفجاءة أحد بني كنانة" وكذلك ذكره غيره والفجاءة لقب أبيه

صفاته :

١. خطيب بليغ وشاعر فحل مغلق مجيد فارس شجاع.

٢. قال الجاحظ " كان خطيباً فارساً خرج زمن مصعب بن عمير وبقى عشرين سنه، وكان يدين بالإستعراض والسباء وقتل الأطفال وكان آخر من بعث إليه سفيان الأبرد الكلبي ".[٤]

---

(١) جمهرة أنساب العرب ر ص : ٢١٢ / ١٣٨٢ هـ – لابن حزم تحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف مصر ، انظر ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان صـ ٩٠ ، وأمالي المرتضى ٦٣٧/١ ، والبيان والتبين ١٣٤/٣ ، وجمهرة أنساب العرب صـ ٢١٢ ، العقد الفريد لابن عبد ربه ١٣٣/١

(٢) البيان والتبين جـ ٣ : ١٣٤ للجاحظ دار الكتب العلمية بيروت

(٣) العقد الفريد ٢٦٥/٣

(٤) البيان والتبين ج ٣ : ١٣٤

قال ابن حزم: "الخارجي ألأزرقي الذي سلم عليه بالخلافة عشرين سنة"(١)

ذكره بن عبد ربه في فرسان العرب في الجاهلية والإسلام قال : " ما استحيا شجاع قط أن يفر من عبد الله بن خازم السلمي وقطري بن الفجاءة "(٢).

٣.تتحلى شجاعة قطري وفروسيته في بعض أشعاره وخصوصاً في قصيدته العينية التي يخاطب فيها نفسه يقول فيها :

أَقولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً ∴ مِنْ الأَبْطالِ وَيْحكِ لَنْ تُرَاعِي

فَإِنْكِ لَوْ سَأَلْت بقاء يوم ∴ عَلَى اَلأَجَلِ الذي لَكِ لَنْ تُطَاعِي

فَصَبْراً فِي مَجَالِ الْموت صبراً ∴ فَمَا نَيْل الْخلودِ بِمُسْتَطَاعِ

وَلَا ثَوْب الْبَقاءِ بِثَوْبِ عِزْ ∴ فَيُطْوَي عَنْ أخي الْخِنْع اليَرَاعِ

سَبِيْلُ الْمَوتِ غَايةَ كُلِّ حَيٍّ ∴ فَدَاعِيْه لأَهْل الْأَرْضِ دَاعِي

وَمَنْ لَا يَعْتَبِطْ يَسْأَمْ وَيَهْرَم ∴ وَتَسْلِمه الْمَنُونُ إِلى اَنْقِطَاع

وَمَا لِلمرءِ خَيْر فِي حَيَاةِ ∴ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقْطِ الْمَتَاعِ

قال ابن خلكان عن هذه القصيدة (٣) " إنها تشجع أجبن خلق الله "(٤).

زهده : يتجلى إيمان قطري وزهده في رسائله وخطبه البليغة الخالية من التكلف ، يقول ابن عبد ربه عن خطبته في ذم الدنيا ، " فإنها معدومة النظير منقطعة القرين " (٥).

---

(١) جمهرة أنساب العرب صـ ٢١٢
(٢) العقد الفريد ج ١٣٣/١ تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفي ٣٢٨ هـ ، محمد سعيد العريان.
(٣) ديوان حماسة أبي تمام ج ١ : صـ ٢٤ شرح التبريزي
(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان (حقق) ج ٤ : ٩٤ تحقيق إحسان عباس دار صادق بيروت
(٥) العقد الفريد جـ ٤

ذكر نص الخطبة من قوله : " أما بعد فإني أحذركم الدنيا " إلى قوله : " لا خير في شيء من زادها إلا التقوى " ، و يقول د / شوقي ضيف " وتمضي الخطبة وهي طويل على هذا النحو من الوعظ والترغيب والترهيب ، وواضح ما فيها من جمال اللفظ وروعه أسره وقد اختار لها قطري السجع حتى يؤثر في نفوس سامعيه أقوى تأثير ، ولم يكتف بالسجع بل أضاف إليه التصوير ، كما أضاف الطباق حتى يبلغ ما يريد من تنسيق معاينه " [١] ، هذه الخطبة تدل على زهده على عكس ما قيل عنه باستحلال دماء المسلمين ، وقتل الأطفال.

هو شاعر تسامحه متسامح لا يعد القاعد عن الجهاد كافراً ، وقد أدى اعتداله إلى انضمام أعداد كبيرة إلى الخوارج ، فانضمامه المتأخر إلى صفوف الخوارج جعلته لا يتأثر كثيراً بأفكارها.

" حدث رجل من العرب قال : انهزمنا من قطري وأصحابه فأدركني رجل على فرس فسمعت حِسّاً منكراً خلفي فالتفت فإذا أنا بقطري فيئست من الحياة فلما عرفني قال : أشدد عنانها وأوجع خاصرتها قطع الله يديك قال : ففعلت فنجوت منه "[٢] ، فهذه القصة دلت دلالة واضحة على تسامحه.

<u>خطابته</u> : خطب قطري تظهر بلاغته وعدم تكلفه مع إيمانه وزهده وقد أشار الجاحظ إلى أنه " من خطباء الخوارج وأن له خطبة طويلة مشهورة وكلام كثير محفوظ " [٣] وهي الخطبة التي تناول بالشرح والبلاغة في هذا البحث.

<u>وفاته</u> : في سنة ٧٨هـ أو ٧٩هـ أرسل المهلب بن أبي صفرة جيشاً إلى قطري بن الفجاءة بقيادة سفيان الأبرد الكلبي وانتهت المعركة بقتله " وقيل الذي قتله سورة بن الجبر الدرامي من بني أبان بن دارم "[٤] أو " سورة بن أبجر البارقي "[٥]

---

(١) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي : ٤١٢ د / شوقي ضيف ط الثامنة
(٢) عيون الأخبار ج ١ : ٢٦٦
(٣) البيان والتبين ج ١ / ١٨٥
(٤) البيان والتبين ج ٣ : ١٣٤
(٥) المعارف لابن قتيبة ط ٢ تحقيق ثروت دار المعارف

# ٢- التعريف بالخطابة وتطورها

## تعريف الخطابة

( الخطابة هي فن القول بغية الإقناع والتأثير ، والخطيب يتكلم " يلقي خطبة في جمهور من الناس في سبيل حملهم على الأخذ بوجهة نظره وتصديق ما يذهب إليه " )[١]

وهناك تعريف آخر :

" الخطابة مصدر خطب يخطب أي صار خطيباً ، هي على هذا صفة راسخة في نفس الممتلك يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم ، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه وإثاره إحساسه للأمر الذي يراد منه ليذعن الحكم إذعاناً " [٢]

## تطور الخطابة

" كان ظهور الإسلام إيذاناً بتطوير واسع في الخطابة إذا اتخذها الرسول – صلى الله عليه وسلم – أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة حيث ظل ثلاثة عشر عاماً يعرض على قومه من قريش ، وكل من يلقاه في الأسواق يقرأ آيات القرآن الكريم ، وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى تتم لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، وهاجر الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة ، فاتصلت خطابته واتسعت جنباتها بما أخذ يشرِّع للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون في سبيل الحق

---

(١) كتاب ألأدب والفنون صـ ١٣٢ / على بوملحم المكنية العصرية – صيدا – لبنان ١٩٧ م
(٢) كتاب الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ص ١٢ ، محمد أبو زهرة ، الطبعة الأولى ، مكتبة العلوم ١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ م .

والخير ..... مبيناً لهم معاني الإسلام الروحية التي تقوم على معرفة العمل الصالح ..... وعلى هذا النحو كانت خطابة الرسول عليه السلام متممة للذكر الحكيم ومن ثم كانت فرضاً مكتوباً في صلاة الجمع والأعياد ثم مواسم الحج ، ونمضي في عصر الخلفاء الراشدين فتكثر بجانب خطب الجمع والأعياد المواقف التي تجلت فيها براعة هؤلاء الخلفاء كموقف أبي بكر حين انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى وكذلك موقفه حين ارتد كثير من العرب وأمتنعوا عن أداء الزكاة ، ثم تكون الفتوح ويخطب أبو بكر في الجيوش الغازية يحض على الجهاد ونشر الدين الحنيف في أطباق الأرض وترتفع أصوات القواد بالخطابة في كل قطر حاثين الجنود على الصبر في القتال حتى الإستشهاد طلباً لما عند الله من الثواب ، ويخيل إلى الإنسان كأنما ملك كل منهم من قلوب جنوده ببيانه وبلاغته مالا تملكه الدنيا بحذافيرها ....."[١]

" لم تقف الخطابة في هذا العصر عند الجزيرة ، فقد أخذت تحل مع المسلمين في كل بلد فتحوها ، وكان هنا بدون شك عاملاً من عوامل نموها إذ تكاثر من يرددونها ومن يحسنون حركها وصياغتها مستلهمين القرآن الكريم وخطابة الرسول فيما يعظون الناس به من مواعظ حسنة " [٢]

" وعلى هذا الإتجاه مضت الخطابة في عصر عمر بن الخطاب والسنوات الأولى من خلافه عثمان بن عفان حتى أشعل الثوار نار الفتنة ويقتل عثمان بن عفان ( ويتولى علي بن أبي طالب مقاليد الخلافة وتجتمع السيدة عائشة وطلحة والزبير ويقررون الخروج عليه ويقصدون البصرة ويستجيب أهلها لهم فيُضْطر عليّ إلى أن يتبعهم وينزل الكوفة ، وتكون موقعة الجمل المشهورة فيها ينتصر

(١) تاريخ الأدب العربي " العصر الإسلامي " صـ ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ د/ شوقي ضيف
(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ص ١٠٩

علي تتم له بيعة أهل العراق وقبيل هذه الموقعة وفي أثنائها تكثر الخطب بين أنصار علي وخصومه، فهؤلاء يدعون إلى طاعته وأولئك يدعون إلى منابذته"[١].

وكان بين من ثبطوا الناس أبو موسى الأشعري أما من استنفروا الناس له فكثيرون وعلى رأسهم الأشعث ابن قيس والأشتر النخعي وزيد بن صولجان وأخوه سيحان ، وانتدب عليّ أهل العراق لقتال معاوية وأهل الشام فخرجوا معه إلى صفين على حدود الفرات حيث التقوا بمعاوية وجنوده ، وفي هذه الأثناء تتكاثر الخطب كثرة مفرطة وخاصة في صفوف علي وأصحابه ، وكان هو نفسه خطيباً مفوهاً ..... ويخطب معاوية محرضاً أصحابه ومن رءوس خطبائه حينئذ عمر بن العاص ، وتستعر المعركة وترجح كفة عليّ وجيشه رجحاناً واضحاً فيلجأ معاوية وأهل الشام إلى الخديعة إذ يرفعون المصاحف على أسنة رماحهم مطالبين بالاحتكام إلى كتاب الله على يد محكمين يستهدون بآية ويُغْمد القراء في جيش علي سيوفهم ويتبعهم الناس ويمانعهم علي فيهددونه بأنه يصبح مصيره مصير عثمان وينزل على إرادتهم ويختار أبو موسى الأشعري عن أهل العراق وعمر بن العاص عن أهل الشام وفي أثناء رجوع علي بجيوشه إلى الكوفة يتبين كثير من جنده أنهم قد خدعوا ويتلوَّمون علياً ، لأنه قبل التحكيم ويعظم الخلاف والشجار بين أصحابه ويخطب فيهم ويتكاثر الخطباء بين محبِّذ للتحكيم ومنفِّر عنه ويخرج عليه فريق كبير من جيشه وينزلون معسكراً خاصاً بهم في حر وراء بالقرب من الكوفة فيسمون لذلك بالحرورية أما الأسم الشامل الذي جمعهم فهو الخوارج ، " ويحاول علي وعبد الله بن العباس أن يردَّاهم إلى سواء السبيل فتقوم بينهما وبينهم مناظرات في مسألة التحكيم يكون عمادها الجدل المستمد من نصوص القرآن والحديث .ولما لم يسمع الخوارج ولم يطيعوا اضطر عليٌّ إلى حربهم وفتك بهم فتكاً ذريعاً في موقعة النهروان وكانوا يظهرون استبسالاً شديداً

(١) تاريخ لأدب العربي ، العصر الإسلامي ص ١٠٩

يدفعهم إلى ذلك خطباؤهم من أمثال قائدهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وحرقوص بن زهير السعدي والمُستورد بن عُلَّفه ومن يرجع إلى خطبهم يجدها تتقد حماسه وحميَّة وينتهي التحكيم بمهذلة خلع علي وتمتد يد آثمة من أيدي الخوارج إليه في الظلام فتطعنه طعنه نجلاء ويسلم الحسن ابنه الأمر راضياً إلى معاويـــة ويبايعـــه المسلمون كافة"[١]

(١) العصر الإسلامي صـــ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، د/ شوقي ضيف

# ٣- نص الخطبة

" صعد قَطَرِيْ بن الفُجَاءة منبر الأزراقة – وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال :أَما بَعْد فَإِنِي أُحَذْرِكُمْ الْدُنْيَا فَإِنْهَا حُلْوة خَضْرَة ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، ورَاقَتْ بِالقَلِيلِ ،وتَحَبَبَتْ بَالْعَاجِلَة ، وَحُلِّيْت بِالآمالِ ، وتَزَيّنَتْ بِالغُرورِ ، لَاْ تَدُوم حَبْرَتهَا وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوْانَةٌ غَدْارَةٌ ،وَحَائلةٌ زائلةٌ وَنافِدَةٌ بَائدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ بَذِلَةٌ نَقَالَةٌ، لَاتَعْدُو إِذَا هِيّ تَنَاهَتْ إِلىَّ أُمْنِيةِ أَهل الْرَغْبَةِ فِيْهَا الرِّضَى عَنْهَا أَنْ تَكُون كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: " كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا"(١) مَعْ أَنْ امْراءاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ،وَلَمْ يَلْق مِنْ سَرَائِها بَطْنَاً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْرَاً ، وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءِ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءِ وَحَرَي إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ ،وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاْحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي ،وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبَها تَبْعاً ، وَلَمْ يَمْس اِمَرء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفِ ،غَرَارَة غُرُور مَا فِيْهَا فَانٌ مَا عَلَيْهَا ، لَاْ خَيْر فِي شَيْء مِنْ زَادَهَا إِلْا التَقْوَى مَنْ أَقَلَ مِنْهَا اسْتَكْثَر مِمَا يُؤْمِنْه وَمَنْ اسْتَكْثَر مِنْهَا اسْتَكْثَر مِما يُوبقْهُ وَيُطِيْل حُزْنُهُ وَيُبْكِي عَيْنُيهُ ، كَمْ مِنْ وَاثِقْ بِهَا قَدْ أَفْجَعَتَهُ وذِيّ طِمَأْنِينَة إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِيِّ اخْتِيَال فِيْهَا قَدْ خَدَعَتْهَ ، كَمْ مِنْ ذِيِّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيَرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاَجِ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفَمْ ، سُلْطَانُهَا دَوَلٌ وَغَيْثُهَا رَنْقٌ وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ وَحُلْوُهَا صَبْرٌ وَعَذَاؤُهَا سِمَامٌ وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ وُقَطَافُهَا سَلَع ، حَيْهُا بِعَرْضِ مَوْتِ وَصَحِيْحُهَا بِعَرْضِ سَقْمِ وَمَنِيْعُهَا بِعَرْضِ اهْتِضَامِ ، مَلِيكُهَا

(١) سورة الكهف الآية ٤٥

مَسْلُوبٌ وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ، مَعْ أَنْ وَرَاء ذَلِّكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِّ الْحَكَمْ الْعَدْلِ ، " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "(١) أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَار وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ ، فَهَلْ بَلَغَكُمْ ، أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةِ أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمَ فِيْمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمْ بِخطْبِ ، بَلْ قَدْ أَرْهَقَتْهُم بِالفَوَادِحِ وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَوَائِب ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالمْصَائِب ، وَقَدْ رَأَيْتُمُ تَنَكُرْهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَخْلَدَ إِلْيَهَا حِيْنَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ إِلَىَّ آخِرِ الْمُسْنَدِ ، هَلْ زَوَدَتْهُمْ إِلاِّ الشقاء وأَحلَتْهُم إِلاَّ الْضَنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمُ إِلاَّ النَدَامَة ، أَفَهَذِهِ تُؤْثُرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُون أَمْ عَلَيّهَا تَطْمَئِنُون ، يقول الله " مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون " (٢) فَبِئْسَتْ الْدَارٌ لِمَنْ أَقَامَ فِيْهَا فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون أَنكَمْ تَارِكُوْهَا لاَبَدْ ، فَإِنَّمَا هِيَّ كَمَا وَصَفَهَا الله بِاللَعِب وَاللَهْوِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون " (٣) وَذَكَرَ الَذِّينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَة ثُمَ قَالَ : حُمِلُوا إِلىَّ قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُكْبَاناً وَأُنْزِلُوا فَلاَ يَدْعُونَ ضَيْفَاناً ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الضَرِّيحِ أَجْفَانَ وَمِنَ الْتُرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيْرَانٌ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَاَ يَجِيْبُونَ دَاعِياً وَلَاَ يَمْنَعُون ضَيْمَاً ،

(١) سورة النجم الآية ٣١
(٢) سورة هود الآية ١٥ ، ١٦
(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ، ١٢٩

إِنْ أُخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ أُقْحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ، جَمِيْعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيْرَةٌ وَهَمْ أَبْعَادٌ ، مُتَنَاوِن لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُون ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَصْغَانُهمْ وَجُهَلاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهْم ، لَا يَخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وَكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى : " لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين " [١] اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنَاً وَبِالسِّعَةِ ضِيْقَاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى ، غَيْرَ أَنْهُمْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَىَّ الْحَيَاةِ الدَائِمةِ وَإِلَىَّ خُلُود الْأَبَدِ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين " [٢] فَاحْذَرُواَ ما حَذَّرَكُمْ اللهُ وَانْتَفَعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِه وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ"[٣].

---

(١) سورة القصص الآية ٥٨

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤

(٣) البيان والتبين ١٢٦/٢ للجاحظ ، العقد الفريد ١٣٤/٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه وحققه وشرحه وعرف أعلامه الدكتور محمد التونجي ، عيون الأخبار ٢٧٢/٢ لابن قتيبة.

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# ٤-غرض ومضمون الخطبة

**موضوع الخطبة هو : التحذير من الدنيا وعدم الإنغماس في ملذاتها**

رسم الخطيب صورة منفردة للدنيا للتنفير والتزهيد ، فيها فحث الناس على الإعراض عنها والعمل للآخرة ، فأراد الخطيب تشجيع أتباعه على الزهد في الدنيا ، وإقبالهم على الجهاد ؛ رغبة في رضا الله – عز وجل ونيلهم الجزاء الحسن في الآخرة ، فخاطب قطري متلقياً يغفل عن الآخرة ملجأ بكل ما أوتي به من فصاحة وبلاغة للتأثير في مخاطبيه .

افتتح الخطيب خطبته بحمد الله ، والثناء عليه ، وانتقل إلى موضوع الخطبة دون مقدمات وافتتحها بالتحذير ، وذكر صفات الدنيا ، وأطنب في وصفها فقال :" فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الْدُنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوة خَضْرَة ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَة ، وَحُلِّيْت بِالآمال ، وَتزيّنَتْ بِالْغُرور ، لَا تَدُوم حَبْرَتها وَلا تُؤْمِن فَجْعَتُهَا ، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوَّانَةٌ غَدَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ بَذِلَةٌ نَقَّالَةٌ ، لَا تَعْدُو إِذَا هِيّ تَنَاهَتْ إِلىَّ أُمْنِيةِ أَهل الرَّغْبَةِ فِيْهَا الرِّضَى عَنْهَا أَنْ تَكُون كَمَا قَالَ الله تَعَالَى :" كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا" (١)

ثم ذكر زول نعيم الدنيا وفنائها فقال " مَعْ أَنْ امْراءاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ، وَلَمْ يَلْق مِنْ سَرَائِها بَطْناً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْراً ، وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءِ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءِ وَحَرَي إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ ، وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي ، وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبَها تَبْعاً ، وَلَمْ يَمْس اِمرء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفِ ، غَرَارَة غُرُور مَا فِيْهَا ، فَانٌ مَا عَلَيْهَا "

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٥

ثم ذكر حرية الإنسان في اختيار نجاته أو هلاكه: " لَاْ خَيْر فِي شَيْء مِنْ زَادَهَا إِلْا الْتَقْوَى مَنْ أَقَلَ مِنْهَا اسْتَكْثَر مِمَا يُؤْمِنْه وَمَنْ اسْتَكْثَر مِنْهَا اسْتَكْثَر مِما يُوبقْهُ وَيُطِيْل حُزْنُهُ وَيُبْكِي عَيْنُيهُ ".

ثم ذكر الخطيب بأكثر من اغتروا بالدنيا فقال : " كَمْ مِنْ وَاثِقْ بِهَا قَدْ أَفْجَعَتَهُ وذِيّ طِمَأْنِيَنَة إِلَيْهَا قَدْ صرَعتْهُ ، وَذِيٍّ اخْتِيَالِ فِيْهَا قَدْ خَدَعَتْهَ ، كَمْ مِنْ ذِيٍّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وكَمْ مِنْ ذِي تَاَجِ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفْمَ "

ثم ذكر مظاهر تقلب الدنيا وقدرتها على خداع تضليل أهلها: " سُلْطَانُهَا دَوَلٌ وَغَيْثُهَا رَنْقٌ وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ وَحُلْوُهَا صَبْرٌ وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ وُقَطافُهَا سَّلَع ، حَيْهُا بِعَرْضِ مَوْتِ وَصَحِيْحُهَا بِعَرْضِ سَقْمِ وَمَنِيْعُهَا بِعَرْضِ اهْتِضَامِ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ ".

ثم صور مشهد الموت ويوم القيامة واستشهاده بذلك من القرآن الكريم فقال : " مَعْ أَنْ وَرَاء ذَلِّكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِّ الْحَكَمْ الْعَدْلِ ، " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "[1]

ثم بين حال الأقوام السابقة في الدنيا فقال : " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آَثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعبَّدُوا لِلْدُنْيَا أَيَّ تَعبَد وَآثرُوهَا أَيَّ إِيثَارِ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ "

ثم بين حال الدنيا بإدبارها وقسوتها عن الأقوام السابقة من قوله: "فَهَلْ بَلَغَكُمْ، أَنَّ الْدُنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةِ أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمَ فِيْمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمُ بِخطْبِ، بَلْ قَدْ أَرْهَقَتْهُم بِالفَوَادِحِ وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَوَائِبِ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالمَصَائِبِ، وَقَدْ رَأَيْتُمُ تَنَكُرْهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَخْلَدَ إِلْيَها حِيْنَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ إِلَىَّ آخِرِ الْمُسْنَدِ، هَلْ زَوَدَتْهُمْ إِلاِّ الشقاء وأَحَلَتْهُم إِلاَّ الْضَنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمُ إِلاَّ النْدَامَة ".

---

(١) سورة النجم الآية ٣١

ثم قبح الدنيا ونفر منها واستشهد على ذلك من القرآن الكريم فقال : " أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُون أَمْ عَلَيْهَا تَطْمَئِنُون ، يقول الله " مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون"(١) فَبِئْسَتْ الْدَارٌ لِمَنْ أَقَامَ فِيْهَا فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون أَنكَمْ تَارِكُوْهَا لأَبَدْ ، فَإِنَّمَا هِيَّ كَمَا وَصَفَهَا الله بِاللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون " (٢)

ثم ذكر حال الأقوام السابقة الذين اغتروا بالدنيا بعد موتهم فقال : " حُمِلُوا إِلىَّ قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُكْبَاناً وَأُنزِلُوا فَلاَ يَدْعُونَ ضَيْفَاناً ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الضَرِّيحِ أَجْفَانَ وَمِنَ التُرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيْرَانٌ ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَاَ يَجِيْبُونَ دَاعِياً وَلَاَ يَمْنَعُون ضَيْمَاً ، إِنْ أُخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ أُقْحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ، جَمِيْعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيْرَةٌ وَهَمْ أَبْعَادٌ ، مُتَنَاوِن لَاَ يَزُورُونَ وَلَاَ يُزَارُون ، حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهمْ وَجُهَلاَء قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهْم ، لَاَ يَخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ ، وَكَمَا قَالَ الله تَعَالى : " لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين " (٣) اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنَاً وَبِالسِّعَةِ ضِيْقَاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالْنُورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى ، غَيْر أَنَّهُمْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلىَّ الْحَيَاةِ الدَائِمةِ وَإِلىَّ خُلُود الْأَبَدِ، يَقُولُ الله تَعَالَى : " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين " (٤).

ثم ختم خطبته بالتحذير كما بدأها من قوله : " فَاحْذَرُواَ مَا حَذَّرَكُمْ الله وَانْتَفَعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنَا الله وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِه وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ.".

---

(١) سورة هود الآية ١٥ ، ١٦

(٢) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ، ١٢٩

(٣) سورة القصص الآية ٥٨

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٤

# المبحث الأول

# التحذير من الدنيا

# وذكر صفاتها واستشهاده من القرآن الكريم

## تحليل الخطبة

( صعد قطري بن الفجاءة منبر الأزراقة – وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أَما بَعْد فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوة خَضِرَة ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالقَلِيلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَة ، وَحُلِّيْت بِالآمالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالغُرورِ ، لَا تَدُوم حَبْرَتها وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا..... )

كشفت الخطبة أبعاد الموقف النفسي ، صفة الاستعجال الناجمة عن حرج الموقف دفعت الخطيب إلى الدخول في نص الخطبة دون مقدمات ، أو تمهيد ، فلم يكن في الوقت متسع ، فالحسرة تعصف بالخطيب لما رأه من انسياق أتباعه وراء الدنيا ، وانشغالهم بها ، فأراد أن يوقظهم من رقودهم في ملذاتها ، ولذلك بدأ خطبته بالتحذير بقوله : " فإني أحذركم الدنيا " ، فحذرهم ؛ لما رآه من انسياقهم وراء الدنيا ، وانشعالهم بها ، ورغبة منه في حثهم على الجهاد ، وكانت هذه الرسالة التي سعى إليها بأوجز الألفاظ وأبلغ العبارات.

- **فبدأ الخطبة بقوله " فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا "** ؟

يطالعنا الخطيب في مستهل خطبته بـ " براعة استهلال " وهو أول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب ، تجذب الانتباه ، وتوقظ الأذهان فيقول " فإني أحذركم ... ، فجذب انتباه المتلقى وجعله مقبلاً عليه ، يقول الإمام السيوطي: " هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله ، وأول شيء يدخل الأذن وأول معنى يصل إلى القلب [(١)] فاستهلال الخطيب الخطبة بجملة " فإني أحذركم الدنيا " ناسب مقصودة ، فموضوع الخطبة يدور حول التحذير من الدنيا وقد وضحت الجملة ذلك ، وفيها

(١) الإتقان في علوم القرآن جـ ٢ صـ ١٠٩ ، جلال الدين السيوطي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة.

حسن ابتداء أيضاً ، وقد أشاد بهذا اللون أبو هلال العسكري " إذا كان الابتداء حسناً بديعاً ومليحاً رشيقاً كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام " [١]، وقد روعي في افتتاح الخطبة مقتضى الحال فجاءت الجملة مطابقة لمقتضى الحال ويقول الخطيب القزويني : " وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب ".[٢]

١. افتتح خطبته بالجملة الخبرية [٣] " إني أحذركم الدنيا " وخص الإبتداء بالجملة الأسمية للدلالة على الثبوت والاستمرار ، كأنه يقول : أن هذا التحذير ثابت ومستمر لا يتغير، وفي هذا تنبيه للمخاطب وإثارة فكره.

أفادت الفاء في قوله " فإني " " الدلالة على السرعة في الدخول إلى صلب الخطبة ، ليحذر الخطيب اتباعه من الإنسياق وراء الدنيا والإنغماس في ملذاتها لأنها فانية لا تبقى ، ولا يدوم صاحبها على حال ، والمخاطبون لا ينكرون حال الدنيا من فنائها وعدم بقائها وكل إنسان على يقين من أنه ميت ، وأنه لا يخلد فيها مهما طال أجله ، فهم غير منكرين لهذه الحقيقة ، وكان يجب على الخطيب أن يلقي عليهم الخبر خالياً من التوكيد ، ولكن الخطيب نزل المخاطبين غير المنكرين منزلة المنكرين ، فجاء الخبر على خلاف مقتضى الظاهر وألقى إليهم الكلام مؤكداً – وللخبر مكانته في البلاغة العربية حيث أشار به الإمام عبد القاهر بقوله " فاعلم أن " معاني الكلام كلها لا تتصور إلا فيما شيئين ، الأصل والأول هو الخبر ..... ومن الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون

---

(١) الصناعتين صـ ٤٣٧

(٢) بغية الإيضاح جـ ١ ، صـ ٢٧

(٣) الخبر : قول يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وصدق الخبر مطابقة حكمه للواقع ، وكذبه عدم عدم مطابقة حكمه له ينظر مفتاح العلوم ٩٤ للسكاكي.

خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه[١] ، والسبب في ذلك ظهور علامات الإنكار عليهم بانشغالهم بمتاع الدنيا ، وإسرافهم فيها تخاذلهم عن الجهاد ، فمن أجل ذلك أخبرهم عن صدق رغبته في نصحهم وتحذيرهم ، وقصد إلى تحقيق التحذير وتثبيته ، فأكد الجملةُ " إني " للمبالغة في تأكيد الخبر وتحقق وقوعه.

وليوضح الخطيب كراهيته لإنسياقهم في ملذات الدنيا استخدم الفعل " أحذركم " فهذا تحذير منه إذا لم يتبعوه ، فيلقوا في المهالك ، فهو لهم منذر ومُحَذِّر ؛ فالخطيب أدرك أن هذه الكلمة دون غيرها لها أثر كبير بالأسلوب البلاغي فاختارها دون غيرها ليصل شعوره إلى المتلقى من خلال دقة اختياره للفظ.

يقول الخطابي " أن عمود البلاغة في وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به ، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه : إما يتبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ".[٢]

- و في تعريف الدنيا بالألف واللام للعهد ليدل على أنها الدنيا المعروفه.

وفي قوله : " الدِنيا " مجاز مرسل علاقته المحلية حيث استعمل لفظ " الدنيا " في غير ما وضح له لعلاقة غير المشابهة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، فذكر الدنيا والمراد به الآثام والذنوب ومحلها الدنيا.

آثر لفظ " الدنيا " دون الحياة ليشير إلى حقارتها ، وفنائها ، فهي من الأدنى ، وأيضاً ليفيد تدنيها عن كل جميل وجليل ، كما أن لفظ الدنيا يخدم المعاني

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ٥٤

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي ٣٩ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ( الخطابي الروماني عبد القاهر الجرجاني ) ط – دار المعارف.

المتناقضة التي يصورها الخطيب في خطبته رامزاً من خلالها الحياة المادية المرفوضة ، فإيثار اللفظ دون غيره يسمى في البلاغة " ائتلاف اللفظ مع المعنى " وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبه له [١] ، وفائدته " حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة.[٢]

- " **فإنها حُلْوة خَضْرَة** " :

الفاء للتعليل ، وأكد التعليل بقوله " إنها " لتقويه مضمون الخبر وربطه بما قبله بقوله " أحذركم ".

- " فإنها حُلْوة " تعليل لما قبلها.

" خَضْرَة " : تأكيد لوصف مضمون الخبر.

عمد الخطيب إلى التصوير البياني من خلال الاستعارة المكنية ، حيث شبه الدنيا بشيء محسوس حلو المذاق ، حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي إسناد " حلوة خضرة " إلى الدنيا استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية وبلاغتها صورت المعنوي " الدنيا " في صورة محسوسة ليظهر لنا إغراء الدنيا بأهلها فالإستعارة المكنية تقوى المعنى وتكسبه التخييل.

والجملة مقتبسة [٣] من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم " إنما الدنيا

---

(١) الطراز ١٤٤/٣، جواهر البلاغة ٢٣٢

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ ٨٨

(٣) الإقتباس : أن يضمن الكاتب كلامه شيئاً من القرآن أو الحديث دون أن يشعر بذلك بأن يقول : قال الله تعالى أو قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن أشعر بذلك أو صرح فلا يكون اقتباساً بل استشهاد أو استدلال.

حلوة خضرة "[١] فالخطيب استطاع عن طريق الإقتباس أن يبني كلامه على التلاحم ، ولهذا صار قوياً بليغاً " ولا شك أن الألفاظ المقتبسة من القرآن أو الحديث الشريف تزيد الكلام قوة وبلاغة كما تضفي عليه حسناً وجمالاً ..... تبدو وسطه كالضياء اللامع والنور المشرف.[٢]

- " **حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ** " :

جاء الفعل " حُفت " مبنياً للمجهول والتقدير : حفت الدنيا الشهوات لإفادة التقرير والثبوت ، كما دل بناء الفعل للمجهول على تحقيق الوقوع ، وكان اهتماماً بالفعل نفسه وبياناً للحال فإذا هو محاط من جميع الجوانب فلا يستطيعون الفرار.

كما أن دلالة الفعل المضعف " حُفت " يؤكد التحقيق والتثبيت والتوكيد ، كما أفاد تشديد الفعل التكرار لأن حف الدنيا الشهوات لن يحدث مرة في العمر أو في مرحلة معينة من العمر ، وإنما يأتي تكراراً

" **بِالشَّهَوَاتِ** " الباء للملاصقة

فصور الخطيب الدنيا بمكان محدد محاط بالشهوات من كل اتجاه ، فصور المعنوي في صورة محسوسة حتى تتمكن في النفس وتستقر في الذهن ، عرفت " الشِهوات " بالألف اللام للعهد إشارة إلى كون الشهوات المعروفة ، عبر الخطيب بجمع المؤنث السالم " الشهوات " لإفادة عموم الشهوات الموجودة في الدنيا ،

---

(١) صحيح مسلم ٨٩/٨ دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، انظر صحيح مسلم في صحيحه كتاب الرقاق باب أهله الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ، حديث رقم ٢٧٤٢ ج ٤/٢٠٩٨ حديث صحيح

(٢) علم البديع د / بسيوني عبد الفتاح فيود صـ ٢٢٥.

كما نجد أن الجملة مقتبسة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات "(١).

- " **وَرَاقَتْ** (٢) **بِالقَلِيلِ** " أي نعيمها قليل ، ربط بما قبلها ربطاً لفظياً من خلال العطف للتوسط بين الكمالين(٣) حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظاً ومعنى.

عبر بالفعل الماضي " **راقت** " للدلالة على تحقق وقوع الفعل ، و لتحقيق الخبر وتأكيد ، وهذه الجملة صورت لنا نعيم الدنيا القليل " بالقليل " أي شهواتها وملذاتها قليلة.

- " **وَتَحَبَبَتْ بِالْعَاجِلَة** " فعن طريق التصوير البياني من خلال الإستعارة المكنية صور الدنيا بإنسان يتقرب إلى أهله ، وهم يقبلون عليه ويحبونه ، وفي ذلك تشخيص للدنيا وإدعاء كونها من أفراد البشر ، فالاستعارة تبعث في الجوامد حركة المشاعر والعواطف الإنسانية.

- " **وَحُلِّيْت بِالآمالِ** " : عطفت الجملة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين لإتفاق الجملتين في الخبرية لفظاً ومعنى.

عرف بِالآمالِ: باللام ليدل على أن الآمال المعروفة في الذهن لا غيرها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، حديث رقم ٢٨٢٢ ج ٤/٢١٧٤ حديث صحيح.

(٢) راقت : راق الشيء إذا صفا ( لسان العرب / روق )

(٣) التوسط بين الكمالين : أي بين حالي كمال الإنقطاع وكمال الإتصال ص ٦٥ ( الإيضاح للخطيب القزويني ).

- " **وَتَزَيَّنَتْ بِالغُرُورِ** " :

عن طريق الإستعارة المكنية ترى الخطيب يجسد ، ويصور الدنيا بامرأة تتحلى وتتجمل ، وليمعن في التشخيص جعل الآمال والغرور جواهر تتزين بها الدنيا ، وفي إثبات التزين للدنيا تخييل ، فالاستعارة دلت على سعة خيال الخطيب، وعلى قدرته على الإبداع ، والإبتكار ، وبما فيها من تشخيص زادت في إيضاح الصورة ، وألبست المعنوي ثوب المحسوس وجعلته ينبض بالحركة والحياة . يقول الإمام عبد القاهر : " إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون" (١) ، وقد عطفت الجملة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين ؛ لإتفاق الجملتين في الخبرية لفظاً ومعنى ، وهكذا ترى الواو رابطاً لفظياً جمع بين الجمل ، وهذا من باب عطف الجمل بعضها على بعض، وكلها تمثيل وصف لحال الدنيا ، فهي حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور.

ثم يأتي التصوير الكنائي متوجاً الجمل المتعاطفة ؛ ليدل من خلاله على عدم الغرور بالدنيا ، وسرعة زوالها وفنائها ، فالكناية أبلغ من الإفصاح ، فهي قضية مصحوبة بالدليل والبرهان ، وأفادت إيجازاً في الكلام يقول الإمام عبد القاهر " أما الكناية فإن السبب أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه ، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبيتها هكذا ساذجاً غافلاً".(٢)

---

(١) أسرار البلاغة صـ ٤١ للإمام عبد القاهر الجرجاني ت محمد رشيد رضا.
(٢) دلائل الإعجاز صـ ٧٢ فجاء أسلوبه متقناً محكماً.

وقد كان لمراعاة النظير[١] بين " حليت – تزينت " فضلاً عن تحسين الكلام الأثر الجميل في ائتلاف الألفاظ وسلاسة الأسلوب وسهولته وهذا يدل على عناية الخطيب بتنسيق أفكاره وترتيب معانيه.

ثم ترى الخطيب يحقر الدنيا بما سبق من جمل وفي هذه الجمل إبهام ، ثم يوضح الخطيب هذا الإبهام بقوله : " لَاْ تَدُوم حَبْرَتهـا [٢] وَلا تُـؤْمِن فَجْعَتْهَـا ، غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوْانَةٌ غَدْارَةٌ ، وَحَائِلةٌ زائِلةٌ وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، أَكَّالَـةٌ غَوَالَـةٌ بَذِلَـةٌ نَقَالَةٌ"، فترى الخطيب لجأ إلى أسلوب الإيضاح بعد الإبهام ؛ ليظهر المعنى فـي صورتين مختلفتين ، وبهذا يتمكن المعنى في النفس أفضل تمكن ، فهذا " إيضاح بعد إبهام مكن المعنى في النفس أفضل تمكن ، لأن المعنى إذا ألقى مجملاً تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فإذا جاء تمكن فيها خير تمكن وكان شعورها به أتم وأوفى " [٣]

فصل بين جملة " لَاْ تَدُوم حَبْرَتها " وبين " وَتَزَيَّنَتْ بِالغُرورِ " لكمال الإتصال ، حيث وقعت الجملة الثانية عطف بيان لجملة " وتزينت بالغرور " فبينهما اتصال فهما كالشيء الواحد ولا يعطف الشيء على نفسه.

▪ جاء النفي بحرف " لا " دون " لـن " أو " لـم " لأن " لا " ينفـي بهـا المستقبل والحال ، و " لن " تأتي لنفي المستقبل ، و " لم " لنفي الماضي ، فحرف " لا " أشمل في النفي من حرف " لن " و " لم " ، وقد وضح ذلك ابن قيم الجوزية حين نقل عن شيخة ابن تيمية – رحمه الله : ( وتأمل حرف " لا " ، كيف تجدها ، " لا " بعدها " ألف " يمتد بها الصوت مالم يقطعه ضيق النفس ، فـآذن امتـداد لفظها بامتداد معناها ، و " لن " بعكس ذلك ) [٤]، فالنفي بـ " لا " فيـه طـول معنى النفي وفهم هذا المعنى من اللفظ " لا ".

---

(١) مراعاة النظير الجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد.
(٢) حبرتها : الحبرة : النعمة (لسان العرب / حبر ).
(٣) شروح التلخيص جـ ٢٣ صـ ٢٧
(٤) بدائع الفوائد ٩٥/١ ، ٩٦ ، لإبن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

عبر بالفعل المضارع " تدوم ، تؤمن " لإفادة التجديد واستحضار صورة عدم دوام الحبرة السرور ، وعدم دوام الأمن لا في زمن الحال ولا في زمن المستقبل.

أكد الخطيب على غدر الدنيا بقوله " وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا " ، فوصل الجملة بما قبلها للتوسط بين الكمالين ، حيث اتفقت الجملتان في الخبرية مع وجود الجامع.

كما ترى المحسن البديعي المعنوي "الطباق الخفي بين "حبرتها ، فجعتها"، حيث أن معنى الحبرة السرور ، وهو ضد الحزن المسبب عن الفجعة ، فقوله "فجعتها " سبب في الحزن.

وأيضاً المحسن البديعي اللفظي " السجع المتوازي " ، بين قوله : " لَاْ تَدُوم حَبْرَتها وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا " فالإتفاق في أقل ألفاظ الجملتين في الوزن والقافية أكسب موسيقى داخليه تجذب السمع ، وتحمل على الميل والإصغاء فترى خطبة الخطيب ذات نغم يرنم.

وتتابع المفردات بما تحمله من معاني الدوام والاستمرار في تحقير وصف الدنيا ، وتظهر جلياً في صيغ المبالغة " غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوْانَةٌ غَـذْاَرةٌ " ، التي تشعرنا من خلال المد والتضعيف بالتكرار والكثرة ، ولزيادة المبالغة بأن ما فيها دائم ومتجدد من الغدر والضرر والغرور ، وفي اختيار الخطيب وزن " فعالة " في " غرّارة ، ضرّارة ، خوانة ، غدارة " ؛ ليظهر أن هذا الأمر هو ما يحدث فيها ، فالدنيا تغرى أهلها بما فيها من ملذات وشديدة الضر بهم ، خائنة لهم ، وغادرة بهم ، وهذه الأوصاف مبالغة تحمل تكرار الفعل فأوصاف الدنيا ألصقت بمن فيها ، وتعددت الصفات لموصوف واحد " الدنيا " وذلك زيادة في وضوح سوء الدنيا وخداعها وتضليلها.

كما ترى الجمل الخبرية لا يقصد منها خبر الفائدة ؛ لأن المخاطب يعلم هذه الأوصاف لحال الدنيا من أنها " غرّارة ، ضرّارة ، خوانة ، غدارة وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة ، غوالة ، بذلة نقالة ، ولا يقصد منها لازم الفائدة ، وإنما المقصود المعنى البلاغي وهو إظهار الشكوى من حال الدنيا ، فليس فيها ما يسر ليركن إليها.

▪ حذف المسند إليه من الجمل الخبرية ، والتقدير : هي غرارة ، هي ضرارة ، هي خوانة ، هي عذارة ، هي حائلة ، هي نافذة .....، هي أكالة .... ، هي بذلة نقالة ؛ لضيق المقام عن الإطالة في الكلام ، ولجذب انتباه السامع إلى هذه الجمل الخبرية ، لأن هذه الجمل الخبرية هي باختصار وصف للدنيا ، وأشاد الإمام عبد القاهر الجرجاني بالحذف حيث قال : " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر .....[١] ،

نكر هذه الجمل للتفخيم والتعظيم.

▪ عبر باسم الفاعل " وَحَائِلَةٌ زائِلَةٌ وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ " لدلالة اسم الفاعل على الفعل وصاحبه ولدلالته على ثبوت هذه الصفات وعدم تغييرها في الدنيا.

▪ الواو في جملة " وحائلة زائلة ، ونافدة بائدة " للحال ، وفيها معنى المغايرة ، وجملة الحال اسمية اقترنت بواو الحال ؛ لتأكيد معنى الثبوت والدوام ، فالخطيب في خطبته أراد أن يخبرنا بخبرين الأول : أن الدنيا حائلة زائلة ، والثاني : أنها نافدة بائدة ، وقد أكد الخبرين بجملة الحال التي اقترنت بالواو ؛ لتأكيد الثبوت والدوام يقول الإمام عبد القاهر : " وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبراً وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات " ، كما ترى تعدد الصفات للدنيا وذلك للتأكيد والتقرير".[٢]

---

(١) دلائل الإعجاز صـ ١٤٦ تحقيق حمود شاكر

(٢) دلائل الإعجاز ٢٢٤ للإمام عبد القاهر تحقيق محمود شاكر.

▪ لا يخفى ما للسجع المرصع في قوله " غرارة ، ضرارة ، خوانه ، غدارة " الذي اتفق في الوزن والقافيه من أثر في الكلام وما يضفيه على المعنى عن موسيقى داخلية تطرب لها الآذان فالإيقاع الموسيقي جزء من العمل الفني للخطيب ، وكذلك السجع بين المرصع " حائلة زائلة ، وبين نافدة ، بائدة " وهو ما انفق فيه أكثر ألفاظ الفقرتين وزناً وتقفيه ، وكذلك أيضاً السجع المتوازي بين " أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ ، وبين " بَذِلَةٌ نَقَالَةٌ " وهو ما اتفق فيه أقل ألفاظ الفقرتين وزناً وتقفيه ، هذه المجموعة الصوتية ناشئة من طبيعة الإختيار الموفق للكلمات من حيث تواؤم الحركات والسكنات ، ومن حيث مخارج الحروف ، التي هي وسيلة من وسائل الإيحاء عن التعبير عما يجول في خفى النفس.

" لَاْ تَعْدُو إِذَا هِيّ تَنَاهَتْ إِلىَّ أُمْنِيةِ أَهل الْرَغْبَةِ فِيْهَا الرِّضَى عَنْهَا أَنْ تَكُون كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: " كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا "(١).

ينتقل الخطيب إلى خلاصة تصوير حال الدنيا بمزيد من الإيضاح والتفسير .

فيقول : " لَاْ تَعْدُو إِذَا هِيّ تَنَاهَتْ " أي : أن خلاصة تصوير حال الدنيا كما في الآية الكريمة .

التعبير " إذا " ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط لإفادة التحقيق فاستخدم الخطيب " إذا " دون " إن " وكلاهما يصلحان ظرفاً لما يستقبل من الزمان لأن " إذا " تؤكد حصول ما يقع بعدها أي أن خلاصة تصوير حال الدنيا كما في الآية الكريمة بينما " إن " ترد لمعنى الاحتمال والشك وهذا خلاف المقصود ، كما أن " إذا " فيها معنى الفجائية أي أن الدنيا يتحول حالها من حال إلى حال فجأة.

---

(١) سورة الكهف آية ٤٥

و هِيّ تَنَاهَتْ إِلىَّ أُمْنِيةِ أَهل الْرَغْبَةِ فِيْهَا الرِّضَى عَنْهَا أَنْ تَكُون كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: " ....." ، " هي " عرف الدنيا بالضمير لطول الجمل السابقة ليُذَّكر المخاطب بما يقوله.

هذه الجملة تكشف عن حالة الخطيب في حثه على القتال والنضال والجهاد في سبيل الله.

كما ترى كلمة " تناهت " تدل على تحقيق التناهي وهي تمتاز بحرف المد الذي يعطيها خفة في اللفظ وامتداداً في الصوت وجمالاً في الإيقاع بخلاف غيرها من الكلمات كـ " تبدو " فهي تشعر بانقطاع الصوت الذي يؤثر على حسن الإيقاع وجماله.

" أن تكون كما قال الله تعالى ....." جواب الشرط تفيد تحقيق وقوع الشرط وبلاغة أسلوب الشرط في الترابط والتلازم في تركيب الجمل وربط بعضها ببعض.

" مثل الحياة الدنيا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا " (١) ".

يوضح الخطيب حال الدنيا لأصحابه ؛ ليحذرهم منها حتى لا يكونوا في غفلة من أمرها بل يكونون على بصيرة ووعي.

بدأت الآية بأسلوب خبري يتسم بالتشويق ، فبدأت بكلمة " مثل " وهي تعني الشبه والمساوي ، وفي حالة نطقها تستدعي المعاني ؛ ليأتي الخبر الذي انتظره المتلقى متشوقاً لمعرفته.

فمعنى " مثل " أي الحال العجيب الوصف والشأن وبهذا يصرح من بداية الآية بعجيب الأمر والتبدل من حال إلى حال وإضافة " مثل " إلى " الحياة " يجعل المثال مزدوجاً متعدد الصور.

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٥

" أنزلناه " أي أنزل متفرقاً ، قال الكرماني : " نزل وأنزل كلاهما متعد وقيل نزل للتعدي والمبالغة ، أنزل متفرقاً".(١)

" كما " : الكاف " للتشبيه " ، وفيها فائدة بلاغية حيث أن الكاف تصرح بأن في الكلام تشبيهاً وإذا نظرنا إلى طرفي التشبيه نجد أن المشبه أمر غير واضح يحتاج إلى تأمل وأعمال فكر وذهن ، أما المشبه به فهو واضح تمام الوضوح.

والآية تشبيه تمثيلي ؛ لأن وجه الشبه وصف منتزع من متعدد ، فشبه حال الدنيا في إقبالها وملذاتها وكثرة مسراتها ثم سرعة انقضائها وزوالها بحال ماء نزل من السماء فأنبت الزرع ونما وترعرع وقوى ثم صار يبساً هشيماً ، ووجه الشبه : الهيئة الحاصلة من بهجة وسعادة ويعقبها شقاء وفناء.

- ربط الله ختام الآية بمضمونها ؛ ليجعل المخاطب في اتصال بتغيرها.

الآية تذييل (٢)، وهو من صور الإطناب ، وهو جار مجرى المثل لأنه يعتمد على سابقه وينفصل عنه وجيء به ؛ لتأكيد المعنى السابق ، فهي مقررة لما قبلها من الجمل السابقة في التحذير من الدنيا.

والإجمال ثم التفصيل من سمات الخطيب في خطبته التي تؤكد دقته البالغة في ترتيب معانيه وتنسيق أفكاره عقوداً ينظمها ويرتبها ، فذكر تحذيره أولاً مجملاً بقوله " أحذركم الدنيا " ثم فَصّل ببيان وصفها وحالها ، ثم ذكر الآية الكريمة مفسرة ، وموضحة ما يريده ، وكل هذا بطريقة مشوقة للسامع.

---

(١) أسرار التكرار في القرآن ١٩٤ تأليف محمد بن حمزة نصر الكرماني تحقيق عبد القاهر أحمد عطا ، ط ، الأولى دار الاعتصام.

(٢) التذييل : تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها تأكيداً للمنطوق الأول لمفهومها ( جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد السيد الهاشمي ، ط الثانية عشر ، دار الفكر

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٦٤٤٦

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# المبحث الثاني

# زوال نعيم الدنيا وفنائها

**ثم يواصل الخطيب كلامه في التحذير من الدنيا فيقول : "مَعْ أَنْ امْراءاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ، وَلَمْ يَلْق مِنْ سَرائِها بَطْنَاً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْراً ، وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءٍ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ وَحَرَي إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ ، وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي".**

" مَعْ أَنْ امْراءاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة " : يصور لنا الخطيب قصر مدة الفرح في الدنيا فإذا جاء الفرح القصير أعقبه الحزن المديد.

ويستخدم الخطيب لذلك القصر [١] بطريق النفي والاستثناء ؛ ليضفي على المعنى قوة وتأكيداً ، حيث يؤكد ما من شأنه أن ينكره المخاطب أو يجهل عليه لأنه لما ظهر عليهم إقبالهم عن الدنيا وغفلتهم عن الآخرة كان حالهم بالمنكر للأمر أو الجاهل به وأكد هذا النفي بـ " لم " التي تنفي الماضي يقول الإمام عبد القاهر " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو ما هذا إلا كذا ، وإن هو إلا كذا ، فيكون الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا قلت ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطيء قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته ، وإذا رأيت شخصاً من بعيد قلت ما هو إلا زيد لم تقله إلا وهو صاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه إنسان آخر ويجد في الإنكار أن يكون زيداً.[٢]

وترى المحسن البديعي اللفظي " الجناس " [٣] بين " عبرة ، وحبرة " وهو جناس غير تام مضارع ؛ لأن الحرفين المختلفين " العين والحاء " بينهما تقارب في المخرج فهما يخرجان من أقصى الحلق ، فالجناس له دور في إبراز المعنى

---

(١) القصر : تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص ينظر مختصر السعد ضمن شروح التخليص ١٦٦/٢

(٢) دلائل الإعجاز صـ ٣٣٢

(٣) الجناس تشابه اللفظين في اللفظ واختلافهما في المعنى.

وجذب انتباه المتلقى بالعبارات التي تحمل موسيقى داخلية تحمل على الميل والإصغاء ، وهكذا زين الخطيب كلامه وجعل البناء الصوتي يحدث تناغماً موسيقياً.

- يواصل الخطيب نصحه وتذكيره لأتباعه بأن الدنيا سرورها لا يدوم ويعقبه حزن وألم فيقول : " **وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنَاً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرِائِهَا ظَهْرَاً** " :

وهذه الجملة تكرار لمعنى الجملة السابقة فلم يلق الإنسان منها سراء في وقت قليل إلا أعقبه الضراء بوقت طويل ، فأتى بالنفي في بداية الجملة لبيان قصر مدة السراء وطول مدة الضراء ، وترى الجملتين متقابلتين ومتناظرتين لتثار موازنة بين الوقت في السراء فهو قصير وبين الوقت في الضراء فهو طويل لتظهر الحقيقة جلية وواضحة ، وباستخدام الخطيب القصر بطريق النفي والاستثناء أضفى على المعنى قوة وتأكيداً وتقرر المعنى في ذهن المتلقى.

وعطف الجملة على ما قبلها لما بين الجملتين من تناسب أوجب الوصل.

- " **وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءٍ إِلَّا أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ** "

يكرر الخطيب نفس المعنى لتأكيد ما يقصده من تحقير الدنيا في أعين أصحابه وليدفعهم إلى الجهاد والنضال ، وليأكد لهم نصحة وتحذيره ، فقد أتى بنفس المعنى في جمل متعددة ، للمبالغة في تحذيره حتى لا ينشغلوا بمتاع الدنيا الزائف ، لأن سرورها لا يدوم ويعقبه حزن وإساءت كثيرة فسرورها أقل من إساءتها فاستخدام أسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء ، حتى يؤكد لهم ما من شأنه أن ينكره المخاطب ، أو يجهل عليه ، فبهذا الأسلوب تقرر المعنى في ذهن المتلقى ، فأكد هذا النفي بـ " لم " التي تنفي الماضي نفياً قطعياً ، وهذا المعنى تناوله كثير من الشعراء

كقول الشاعر : **هي الأمور كما شاهدتها دُول ∴ مَنْ سَرَّه زَمَنْ سَاءَتْه أَزْمان**

وارتكزت جملة القصر على التصوير البياني من خلال التشبيه المؤكد ، حيث شبه الرخاء بالغيثة ، والبلاء بالمزنة من إضافة المشبه به للمشبه ، فالمشبه صار عين المشبه به بلا تفاوت ، وأيضاً الجملة كناية عن أن سرور الدنيا أقل من إساءتها الكثيرة المتتابعة.

وبهذا صار القصر أكثر تأثيراً وقوة في أداء المعنى المراد ، فالقصر حين " يسلك طريق المعاني المجازية ويتناولها بالعبارة ترى فيه من الغموض والدقة بمقدار ما فيه من تأثير وقوة أداء "(١)

عبر بالفعل المضارع " تطله " للدلالة على التجدد والتغير الغير دائم وهذا في السرور أما في ناحية كثرة الإساءة وثبوتها وتتابعها فهي ثابتة بالفعل الماضي " أهطلت ".

وترى الخطيب يستخدم المحسن البديعي المعنوي " المقابلة "(٢) حيث أن الجملتين متقابليان لتثار الموازنة بين وقت الرخاء والسرور وهي مدة قصيرة جداً كصغر طلول الغيثه أي المطر الخفيف لهطول المزن وهو المطر الشديد أما الغيثة فهي غيث خاص بالخير ، فإذا كان الرخاء غيث فيعقبه البلاء المتتابع العظيم ، وكأن الخطيب يعطينا مقارنة سريعة لحال الدنيا في السراء والضراء فالمقابلة أعطت للأسلوب قوة وحيوية فجمعت بين الأمور المختلفة ، وفي هذا قمة الإبداع ، فعبر لأهطلت ليدل على أن البلاء متتابع وعظيم كمتتابع وعظم قطر المطر.

---

(١) دلالات التراكيب " دراسة بلاغية " صـ ٢٦ ، أ. د محمد أبو موسى ، ط الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م.

(٢) المقابلة : جعل السكاكي المقابلة قسماً مستقلاً لأنه يشترط فيها أن يكون التقابل بين معنين فأكثر ، ينظر المفتاح ص ٢٠٠

" وَحَرَي إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ " ربط الجملة بما قبلها بالواو وليضيف على الأوصاف السابقة من حال الدنيا وصفاً آخر وهو عدم دوامها على حال ، قصد من قوله " حرى " (١) أنه جدير وحقيق إذا أصبح في نصرة فهو يمسي في خذل.

" إذا " ظرف لما يستقبل من الزمان يستعمل في الأمور المؤكدة والمحققة.

لفظة " أصبحت " تدل على التغير والتحول والتعبير يشعر بالسرعة الخاطفة ، ويدل على قصور من النصرة وأن هذا النصر متى وجد انتهى ولا أثر له لذا كان الفعل الماضي مناسباً.

" إذا أصبحت " جاء الفعل الماضي مقترناً بصيغة الشرط لبيان تحقق الأمر ووقوعه ، ولتأكيد حقيقة عدم دوام الحال فإذا كان الإنسان في الصباح في نصرة ففي المساء في خذل ، فتدخلت في عبارة الخطيب المشاعر الإنسانية وشعوره بعد تبدل الحال بالحسرة والندم وهذا ما يثير في المتلقى اختلاجات شتى ، ويظهر أمامه حقيقة الدنيا فهي غرارة كذابة فيأخذ حذره وينظر إليها بعين الفكر والاعتبار.

قدم الجار والمجرور " له " لإفادة القصر حيث قصر الانتصار له دون غيره مبالغة في النصرة ، يقول الإمام عبد القاهر عن التقديم والتأخير (٢)، هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويقضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحل اللفظ عن مكان إلى مكان "

---

(١) حرى : جدير وخليق لسان العرب / مادة حرى

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٠٦ ت محمود شاكر الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة

نكر لفظ " منتصرة " لإفادة التعميم والشمول ثم ترى الفعل المضارع " تمسي " مطلاً علينا لجعل الخذل والهزيمة مشاهداً مصوراً ماثلاً أمام العين ، يدلل على تجدد وحدوث الأمر ، ويجعل المتلقى يترقب ما الذي تفعله به الدنيا في المساء ، فلفظ " تمسي " يظهر بظلاله الحزين ففيه يتعاقب الليل والنهار ، وتذهب الأضواء التي كانت تملأ النهار ويعم الظلام ، فيملأ الكون ويرجع كل كائن إلى مكانه ، وتبدل الحال من حال إلى حال ، وكذلك الإنسان في الصباح في خير ونصرة ، وفي المساء في ندم وحسرة لإتباعه الدنيا ، وما قال الخطيب هذا إلا ترغيباً في الجهاد وفي بذل النفس للاستشهاد ، فالدنيا فانية ولا يبقى إلا الجزاء الجميل جزاء الاستشهاد.

• وجملة " **أن تمسي له خاذلة** " جواب الشرط يفيد وقوع الشرط ، وبلاغة أسلوب الشرط في الترابط والتلازم في تركيب الجمل وربط بعضها ببعض لبيان أهمية الخبر وإفادة ثبوت الحكم فأن تمسي له الدنيا خاذلة ثابتة ومستمرة وترى المحسن البديعي " المقابلة " بين أصبحت له منتصرة ، " تمسي له خاذلة " ، أعطت الأسلوب قوة وحيوية فجمعت بين الأمور المتضادة وأحدثت ائتلاف بينهما ، فترى الأمور واضحة جلية فالإنسان في الصباح قد نصرته الدنيا فملأ الأرض فرحاً بانتصاره ثم في المساء وقد خذلته فاغتم فأظهرت الدنيا حقارتها وهذا ما يريد الخطيب أن يقول لأصحابه لبث الخوف في نفوسهم وتذكيرهم ولذلك آثر الخطيب المقابلة ؛ للموازنة بين الحالين ، ولإبراز المعنى ، وتوضيحه وتأكيده ، فالمقابلة لها أثرها في بلاغة الكلام لما لها من أثر جليل في تثبيت المعنى وتقويته، وهي تضفى على القول رونقاً وبهجة وتقوى الصلة بين الألفاظ والمعاني "[1]

(١) الباب البديع صـ ٥٤ بتصرف أ. د / محمد حسن شرشر ط الأولى – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م

• نكرة "**خاذلة متنكرة**" لإفادة العموم والشمول ليدل على أن هذا الوصف دأب الدنيا وحالها فهو يعم ويشمل كل إنسان

" **وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ** (١) **وَاحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي** " أي إن كان من الدنيا جانب حلو فيأتي عليه جانب شديد المرارة.

• ربط الجملة بما قبلها ليضيف وصفاً آخر عن طريق أسلوب الشرط وهو إن ظهر عن الدنيا جانب حلو فترى آخر وباء ، فالجملة المعطوفة بمثابة توضيح لحال الدنيا ، وتأكيد لقول الخطيب ، فدخلت الواو على " إن " الشرطية ، التي تستعمل في الأمر المشكوك فيه وكأن يشك في أن جانب من هذه الدنيا يسر ويفرح ، ومن خلال التصوير البياني لجأ إلى الاستعارة في قوله " اعذوذب " ، فقد استعار اعذوذب لنعيم الدنيا الذي لا يدوم ، واستعار " أمر " لتقلب وتغير حال الدنيا فهي كماء تغيرت حالته وفقد صفاؤه وصار مراً.

• " **اعذوذب ، احلولي** " ثلاثي مزيد بثلاثة أحرف على وزن " افعوعل " مزيد بالهمزة والواو والتضعيف ، وهذه الصيغة تفيد المبالغة.

وفي قوله " **أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي** " كان الأولى للخطيب أن يعبر بدلاً من " عليه " بقوله " له " ليجعل الخطيب جانباً من الدنيا عذبا وحلوا وجانباً آخر أمر ، فشبه الإشارة إلى الجانب المر بالاستعلاء الحسى ، وكان الجانب المر يستعلى حسياً على الجانب الحلو على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فالجانب المر أخفى تماماً الجانب الحلو ، قصداً من الخطيب أن يقدموا على القتال في حب وتضحيه .

---

(١) ( اعذوذب ) عده عذباً ( لسان العرب / عذب ).

انظر إلى الهمزة ودورها المؤثر في ( اذوذب واحلولي ، أمـــر وأوبـــي " فالهمزة صوت انفجاري يعتمد على الوقف ثم الإطلاق وقد ناسب وجودها فقابـــل بين " اعذوذب واحلولي " وبين " أمر وأوبي " .

من ناحية اللفظ فالمقابلة بين " اعذوذب واحلولي " وبين " أمـــر وأوبـــي " فهي أن يؤتي بمعنيين ثم بما يقابلهما على نقابل " احلولي " ، أمـــا مـــن ناحيـــة المعنى والدلالة فإن " أمر " تقابل " احلولي " ، و " أوبي " تقابل " اعذوذب " مـــن ناحية الدلالة والسياق لأنه لا تضاد حقيقي.

- زين الشاعر كلامه بـــ مراعاة النظير بين " **اعذوذب ، واحلولي** ".

وقد كان لها فضل في تحسين الكلام وأثر بالغ في ائتلاف الألفاظ وسلاسة الأسلوب وسهولته ، وهذا يدل دلالة واضحة على عناية الخطيب بترتيب معانيـــه وتنسيق أفكاره فجاء أسلوبه محكماً كل لفظ بجانب الآخر كحبات اللؤلـــؤ بجـــوار بعضها البعض فظهر العقد في غاية الجمال ، وفي قوله " جَانَبَ..... جَانِـــبُ " رد للعجز على الصدور للدلالة والتقرير أضاف على كلامه نوعـــاً مـــن الموســـيقى والسحر.

يقول أبو هلال العسكري : " إن لرد الأعجاز على الصدور موقعاً جليلاً في البلاغة وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً" [١] وفي هذا تأكيد للمعاني وتقريرها لأن اللفظ عندما يكرر أو يذكر مجانساً لآخر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقـــرر كما أضفى على كلامه نوعاً من الخلابة والسحر من خلال رد العجز ، على الصدر ، فاللفظان المكرران " جانب " أحدهما في أول الجملة والآخر في الجملة ، وتقدم الجار والمجرور " منها " لإفادة القصر حيث قصر " اعذوذب واحلولي " على الدنيا خاصة للتأكيد على أن جانبا منها فيه نعيم ولكنه قليل ، كان جواب الشرط " أَمَـــرَ

---

(١) الصناعتين صـــ ٤٠٠

عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي " رداً من الخطيب على الشرط ، ثم تراه يحقق الموازنة بين الحالين من خلال المقابلة بين " جانب اعذوذب و احلولي " وبين " أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي ".

" وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبَها تَبْعاً ، وَلَمْ يَمْسِ امرِء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفٍ ، غَرَارَة غُرُور مَا فِيْهَا ، فَانٌ مَا عَلَيْهَا ".

" وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبَها تَبْعاً ".

يواصل الخطيب استمراره في وصف الدنيا بعدم دوام حالها بتوضيح حالها ، فعبر بأداة الشرط " إن " التي تستعمل في الأمر المشكوك ، وكأن يقول أنه غير محقق ولا مؤكد أن تأتي الدنيا بنعم وعيش رغيد ، فهذا يفيد الشك في تحقيق النعم ، ولا شك أن في قوله " وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا [١] وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً " غموضاً تشوق النفس إلى إيضاحه وتتطلع إلى بيانه ، فماذا بعد الرفاهة والنعم ؟ فيأتي الخطيب بالجواب " أرهقته من نوائبها تبعاً " موضحاً الخفاء فيجد المتلقى مشغوفاً لسماعه ، فالإيضاح بعد الإبهام يمكن المعنى في النفس ؛ لأن المعنى إذا ألقى مجملاً تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح " فإذا جاء تمكن فيها خير تمكن وكان شعورها به أتم وأوفى "[٢]

عبر بالفعل الماضي " أتت " للدلالة على تحقق وقوع الإتيان ويحمل في طياته الهدوء والبطء لكن الفعل " أرهقته " يحمل في طياته كثرة العذاب والآلام

(١) " غضارتها " : الغضارة : طيب العيش
(٢) شروح التلخيص جـ٣ صـ ٢٣٠

نكر " امرءا " للدلالة على العموم والشمول " قدم الجار والمجرور " من غضارتها ورفاهتها " لإفادة القصر ، حيث قصر النضارة والرفاهية على الدنيا خاصة.

أفرد " غضارتها ورفاهتها " للتقليل ، وجمع " نوائبها ، للتكثير ، ولبث الخوف في نفوس المتلقى وتذكيره بأن نوائب ومصائب الدنيا كثيرة متتابعة.

زين الخطيب جملته بمراعاة النظير حيث جمع بين أمور متناسبة وهي " غضارتها ، ورفاهتها ، نعماً " ، وأيضاً السجع بين غضارتها ورفاهيتها أكسب العبارة موسيقية تحمل على السماع.

قدم الجار والمجرر " من نوائبها " لإفادة قصر النوائب على الدنيا للتأكيد على أن نوائبها كثيرة ، وهذه الجملة كناية عن قلة عطاء الدنيا وكثرة أخذها من الإنسان.

وهكذا ترى التناسق الفني بين جمل الخطيب حيث جاءت الجمل متلاحمة تلاحماً قوياً سليماً ، وترى كل جملة إذا أفردت استقلت بنفسها واستقل معناها بلفظها ، وإن كانت الجمل بمنزلة الجملة الواحدة.

" وَلَمْ يَمْسِ امرءٍ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفٍ "

عطف الجملة على الجملة السابقة لمزيد من التفصيل والتوضيح لحال الإنسان في الدنيا ؛ لإظهار ضعفه ، يقول الإمام عبد القاهر : " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها ، والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة معها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا من المعرفة في ذوق الكلام هم به أفراد .....[١].

(١) دلائل الإعجاز صـ ٢٢٢ تحقيق محمود شاكر

نكر " امرء " ليفيد العموم والشمول فهو يعم ويشمل كل إنسان.

" منها " قدم الجار والمجرور لإفادة القصر.

" امرء " مظروفاً بقوله " في جناح أمن " فالأمن ظرف وهو بمقدار جناح لا يزيد.

أما الخوف فهو " على قوادم " وهي كناية عن سرعة الهروب عند الخطر عبر بحرف الجر " على " للاستعلاء المعنوي أي أن هذه الحالة هي الأغلب ، واستعان الخطيب بالتصوير البياني من خلال الإستعارة المكنية ، حيث شبه كثرة الخوف وشدته في نفس من يبقى في الدنيا بالإستعلاء الحسى ، وكأن هذا الخوف علا صاحبه حتى لا يستطيع دفعه.

يستخدم القصر بطريق النفي والاستثناء ، ليضفي على المعنى قوة وتأكيداً، حيث يؤكد ما من شأنه أن ينكره المخاطب أو يجهله ، فيتقرر المعنى في ذهن المتلقى بطريق الإيجاز في العبارة.

كما ترى الجملة ترتكز على التصوير البياني ؛ لتكون أكثر تأثيراً وقوة في أداء المراد فلجأ إلى الاستعارة المكنية ، فشخص الأمن وجعل له جناح الطير ، كما شخص الخوف وجعل له قوادم الطير ، فجعل للأمن والخوف هيئة ولكنها هيئة تخييلية فاثبات جناح إلى أمن ، وقوادم إلى خوف استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية ، وبذلك ليعبر عن أن الأمن قليل فنسب إليه الجناح وهو مفرد ، والخوف كثير فنسب إليه القوادم وهي جمع يكني بذلك عن كثرة الخوف وقلة الأمن

فالقصر في الجملة ارتكز على الإستعارة المكنية والقصر " حين يسلك طريق المعاني المجازية ويتناولها بالعبارة ترى فيه من الغموض والدفة بمقدار ما فيه من تأثير وقوة أداء " (١)

فالخطيب أكد قلة الأمن في الدنيا وكثرة الخوف فيها من خلال رؤية الطائر فالأمن بمثابة جناح لا يستطيع به الطيران أما الخوف بمثابة القوادم التي بها يستطيع الطيران.

فاستطاع الخطيب أن يحرك الصورة في خيال المتلقى ، ليجذب انتباهه إليه، وفيه دلالة عميقة على تشجيعهم على الجهاد والزهد في الدنيا بما فيها من متاع.

" يمس " تحتوي على حرف السين الدال على الصفير الذي ينتشر بخروج الصوت من الفم ليعمق الخطيب عما يجول بداخله من الحزن بسبب تغير الأمن وعدم بقاؤه ، عبر بالفعل المضارع " يمس " ليدل على التجدد والتعبير الغير دائم في أمن الدنيا ، وعبر بالفغل الماضي " أصبح " لدلالة على الثابت والدائم وهو الخوف فهو أمر نتحقق لا محاله.

زين الخطيب جملته حين استخدم المحسن البديعي " المقابلة " ليعقد الموازنة بين حال المرء في الدنيا إن بات في أمن وأمان أصبح على خوف وبلاء، وإذا كان الغرض في الجمل واحداً إلا أن الخطيب ينوع في الألفاظ مما جعل المتلقى يستشعر التجديد فيرسخ المعنى في ذهنه وكأنه يسمعه لأول مرة.

(غَرَارَة غُرُور مَا فِيْهَا ، فَانٌ مَا عَلَيْهَا) فموضوع الحديث لا يزال قائماً.

---

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية صـ ٢٦ أ. د/ محمد أبو موسى والطبعة الثانية ( ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م )

• حذف المسند إليه والتقدير هي " غرارة " وذلك ؛ لضيق المقام عن الإطالة في الكلام بدأ بالإسم " غرارة " لتنبيه المخاطب وإثارة الفكر ، فهو يقدم لهم النصيحة ، فجذبهم بالجملة الإسمية ؛ لإفادة ثبوت الحكم واستمراريته فغرور الدنيا ثابت ومستمر.

عبر بصيغة المبالغة " غرارة ، غرور " للمبالغة في غرور وسوء الدنيا ، وهي مبالغة في غاية الروعة ، فالموقف يستدعي إثارة الفكر والخيال ، فالمبالغة يقبلها المعنى واستدعاها المقام ، والعدول عنها إلى غيرها لا يفي بالغرض.

" غَرَارَة غُرُور " كرر الراء ليدل على تكرار الغرور : فترى الخطيب له قدرته في استخدام الألفاظ وتركيبها في صيغ معينة فيحملها قدرة تصويرية تناسب ما يريد أن ينقله وقد تأثر في بعض الجمل بالاستعمالات القرآنية.

" مَا فِيْهَا " عبر بالاسم الموصول للتفخيم.

" فَانٌ مَا عَلَيْهَا " : فصل بين الجملة وما قبلها لكمال الاتصال فهي بيان لوصف الدنيا

والجملة مقتبسة من قوله تعالى : " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان "(١) فالخطيب استطاع عن طريق الإقتباس أن يبني كلامه على التلاحم والترابط ، ولذا بد قوياً بليغاً ، فالألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم زادت الكلام قوة وبلاغة وزادته حسناً وضياءً ، ويبدو أن الشاعر قد غير قليلاً في ألفاظ الآية القرآنية الكريمة.

عبر بالجملة الخبرية " فان ما عليها " وهي من الضرب الابتدائي لخلو الجملة من التأكيد فيخبرهم أن الدنيا فانية ، والمراد من الخبر الفائدة ، وفيه تحقير أمر الدنيا حتى يستصغرونها في أعينهم ويكون ذلك دافعاً لجهادهم وقتالهم.

---

(١) سورة الرحمن آية ٢٦

# المبحث الثالث

# اختيار الإنسان نجاته أو هلاكه

" لَاْ خَيْر فِي شَيْء مِنْ زَادَهَا إِلْا الْتَقْوَى مَنْ أَقَلَ مِنْهَا اسْتَكْثَرِ مِمَا يُؤْمِنْه وَمَنْ اسْتَكْثَر مِنْهَا اسْتَكْثَر مِما يُوبِقْهُ وَيُطِيْل حُزْنُهُ وَيُبْكِي عَيْنُيهُ "

فصل بين جملة " لَاْ خَيْر فِي شَيْء مِنْ زَادَهَا إِلْا الْتَقْوَى " وما قبلها لكمال الانقطاع بين الجملتين ، فالأولى " فان ما عليها " خبرية لفظاً ومعنى والثانية انشائية لفظاً ومعنى.

" شَيْء " نكر شيء لإفادة العموم والشمول فلا خير في الدنيا إلا التقوى

" لَاْ خَيْر فِي شَيْء مِنْ زَادَهَا إِلْا الْتَقْوَى " نفي الخير من الدنيا واستثنى من ذلك التقوى ، فاستخدم القصر بطريق النفي والاستثناء وذلك ؛ ليضفي على المعنى قوة وتأكيداً ، وليقرر أن الدنيا لا خير فيها إلا التقوى ، فالقصر لتأكيد وتقرير التقوى .

" مَنْ أَقَلَ مِنْهَا اسْتَكْثَرِ مِمَا يُؤْمِنْه " عرف المسند إليه " من " بالموصوليه إشارة إلى نوع بناء الخبر ، حيث يتناسب مع مفهوم الخبر " اسْتَكْثَرِ مِمَا يُؤْمِنْه " فبين أن ثواب من أقل من طلب متاع الدنيا أكثر من الأمن من البلايا والمصائب فجزاؤهم ناسب حالهم ، وبهذا أشار التعبير بالموصولية إلى نوع الخبر فحقق التوافق بينهما.

وكذلك قوله " وَمَنْ اسْتَكْثَر مِنْهَا اسْتَكْثَر مِما يُوبِقْهُ وَيُطِيْل حُزْنُهُ وَيُبْكِي عَيْنُيهُ " من طلب الكثرة من متاع الدنيا كثرت مصائبه وأحزانه ، وصل بين الجملتين ؛ لكمال الإتصال حيث أن الجملة الثانية موضحة ومبينة للجملة الأولى ، عرف المسند إليه " من " بالموصولية للإشارة إلى وجه بناء الخبر.

فمضمون الصلة " اسْتَكْثَر مِنْهَا " يتناسب مع مفهوم الخبر " اسْتَكْثَر مِمـا يُوبِقْهُ وَيُطِيْل حُزْنُهُ وَيُبْكِي عَيْنُيهُ " ، فبيّن الخطيب أن عاقبة من استكثر في طلب متاع الدنيا وملذاتها تتناسب مع أحوالهم من كثرة مصـائبهم ، وإطالـة حـزنهم وبكائهم

" وهذا اللون من النظم له روعته وبلاغته وبهاؤه ..... فيه انسجام النفس وتوازنها لمجيئه على مألوفها ..... وهو في ذلك كله دعوى تحمل دلـيلاً فكـل مقدمة تنطق بنتيجتها وكل نتيجة تتطابق مع مقدماتها" (١).

وفي قوله " **يُبْكِي عَيْنُيهُ** " فذكر عينيه اطناب (٢) وهو لا يفيد به المعنـى ، فالعين مع البكاء حشو لأن البكاء لا يكون إلا من العين ، وتظهر براعة الخطيـب في استخدامه المحسن البديعي المعنوي " المقابلة " ليحقق الموازنة التامة بـين الحالين في الجملتين ، فالمقابلة أضفت في المعنى الحيوية حيـث أن المقـابلات يستدعي بعضها بعضاً ، فتظهر الحقيقة أمام المتلقى وتجعله على وعي تام بهـذا التباين.

كما كان للمحسن البديعي " مراعاة النظير " بين الأفعال " يوبق ، يبكـي " دور في إبراز المعنى وتوضيحه وتحسينه

عبر بالفعل المضارع " **يوبقه ، يطيل ، يبكي** " للدلالة على التجدد والحدوث وليجعل هذه الصور ماثلة شاخصة أمام المتلقى وكأنه يشاهدها بعينه ، وكان لهذه الأفعال الأثر النفسي على المتلقى وهو بث الرهبة والخوف في نفسه مـن هـذه الدنيا التي يركن إليها.

---

(١) المعاني في ظلال النظم القرآني ١٨٦/١ أ.د/ هاشم الديب

(٢) الإطناب زيادة اللفظ على المعنى لفائدة المعاني في ضوء أساليب القـرآن /٢٥٧ أ.د/عبـد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي.

نلاحظ أن الخطيب في الجملتين جدد في الموسيقى بتكرار لفظ " استكثر " وتكرار لفظ " منها " ، وهذا ما يسمى بحسن النسق ؛ ليؤكد على الموسيقى الصوتية والإيقاع في الخطبة ، " اللفظة التي تلاءمت في حروفها وتناسبت في أجزائها وتساوت في مقاطعها ..... حسن في السمع إيقاعها وجمل في الأذن رنينها المتلائم مع جارتها للوصول بروح الإلف مع ما قبلها وما بعدها فإن هذا النظم يشيع أجواء من النغم الساحر ويبعث ألواناً من اللحن المنسق الجميل ".[١]

(١) من صحائف الفصاحة والبلاغة صـ ١٢٠ ، أ.د / الوصيف هلال ط ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

# المبحث الرابع

# التذكير بأكثر من اغتروا بالدنيا

" كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ أَفْجَعَتَهُ وذِيّ طِمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِيِّ اخْتِيَالٍ فِيْهَا قَدْ خَدَعَتْهَ ، كَمْ مِنْ ذِيِّ أُبهَةٍ بِهَا قَدْ صَيرَتْهُ حَقِيْراً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاَجٍ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْنِ وَالفْمَ "(١)

يؤكد الخطيب لأتباعه أن الدنيا حياة الغرور فكثير من أناس وثقوا بها ــ واطمأنوا إليها وأقبلوا عليها وقد فجعتهم بالمصائب ، كما نقلت وغيرت أحوال أقوام من السلطان والبهاء إلى الذلة والحقارة ، فزالت كل أوجه النعيم عنهم فالخطيب أراد أن يحذر أتباعه من الركون إلى الدنيا ، ومن الخوض في ملذاتها ؛ ولذلك فذكرهم بأناس غيرهم قد اغتروا بها وقد كانوا كثيراً إلا أنهم لم يروا منها إلا الفجيعة والخداع والحقارة والذلة فحذرهم ألا يكونوا مثلهم فهي ترفع أقواماً مرة ثم تخفضهم أخرى وهذا هو حالها فهي لحظات عابرة لا يستمر الاستمتاع ، بها فحقيقة الدنيا أنها متاع الغرور.

تلاحظ تكرار الخطيب قوله " كم " ليذكرهم الخطيب بكثرة من اغتروا بالدنيا ولم يجدوا منها سوى الخذلان والشقاء ، وليكشف عن حالة الحزن والأسى التي تدور بداخله لو انتهج اتباعه هذا الطريق الذي ليس وراءه إلا الحزن والشقاء ، كما أعطى التكرار نغماً حزيناً موقظاً للمتلقى يسمى النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف ، لتكثيف الدلالة واستحضار الأحوال التي عليها الناس ، ولا شك " أن التكرار سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحاً مثمراً إذا طرق النفوس من أبواب ملونة وقد يكون مبعث السأم والضيق إذا فقد التلوين في العرض والإبداع في التصوير حتى ليؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه "(٢)

---

(١) ( كبته ) : صرعته ، كبت الله العدو : رده بغيظه وأهلكه وأهانه وأذله لسان / كبت )

(٢) البلاغة النبوية صـ ١٩ ، د/ محمد رجب البيومي، طـ الدار المصرية اللبنانية القاهر ط الأولى ٢٠٠٨ م.

" ذي " من الأدوات التي تفيد العموم والشمول في كل أحواله ، قدم الجار والمجرور " من واثق " لتخصيص الثقة وقصرها على الدنيا دون سواها ، فـ " واثق " على وزن " فاعل " ليدل على أن ثقته ثابتة ومستمرة ، كما يفيد وقوع الثقة من الإنسان في دوام حاله في الدنيا.

وترى في " أَفْجَعَتَهُ ، صَرَعَتْهُ ، خَدَعَتْهَ ، صَيَرَتْهُ ، حَقِيْرَاً ، رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، كَبَتْهُ " صور بيانية رائعة حيث صور " الدنيا بإنسان حي يصرع من يثق به ويطمئن إليه ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ، وفي إسناد " أفجعت ، صرعت ، خدعت ، صيرت ، ردت ، كبت " إلى الدنيا استعارة تخيلية وهي قرينة المكنية وفي هذه الإستعارة تشخيص للدنيا ، وفيها إبراز قبحها وخداعها لمن وثق بها فهي ليست أهلاً للثقة ، كما أن فيها دلالة على سوء اختيار الإنسان وتفضيله الدنيا عن الآخرة ، ولا شك أن هذه الصور أوقع في النفس وأوسع في الإيحاء ، تدل على سعة خيال الخطيب ، وقدرته على التجديد والإبتكار فجاءت صورة نابضة بالحياة والحركة كأنها أشخاص ماثلة أمام أعيننا.

ولفظ " كبته " مقتبس من قوله تعالى : " كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ"(١) فاستطاع الخطيب عن طريق الاقتباس أن يبني كلامه على القوة والبلاغة ، فالألفاظ المقتبسة من القرآن الكريم تزيد الكلام بلاغة وقوة وحسناً وبهاءً ، ثم ترى التصوير الكنائي في قوله " من ذي تاج " قد كبته لليدين والفم فـ " من ذي تاج " كناية عن السيطرة والسلطة ، " كبته لليدين والفم " كناية عن زوال السلطة ومظاهر النعيم التي عاشها فهي كناية عن صفة موت وهلاك الملوك ، فالكناية أبلغ من الإفصاح ، فهي قضية مصحوبة بالدليل والبرهان فالدليل المذكور يؤكد على إثبات الكناية ، كما تفيد إيجازاً في الكلام يقول الإمام عبد القاهر " أما الكناية

(١) سورة المجادلة آية ٥

فإن السبب أن كان للإثبات بها مزية لا يكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجوها آكد و أبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غافلاً [١].

كرر " قد والفعل الماضي " في الجمل " قد أفجعته ، قد صرعته ، قد خدعته، قد صيرته حقيراً ، قد ردته ذليلاً ، قد كبته " للتأكيد وتقوية المعنى ، وأن هذه الأفعال محققة لا محالة .

فالتكرار تتجلى فيه فائدة دلالية كبيرة تظهر في التأكيد وتقوية المعنى وتثبيته ، و التكرار كوّن إيقاعاً داخلياً في الفقرة ، وهذا الإيقاع قدم جواً موسيقياً له فائدة دلالية فالتعبير بقد والفعل الماضي ليدل على أن هذه الأمور محققة بالفعل مؤكدة ، وهذا التوكيد منح الصورة قوة في المعنى وتأثيراً في الملتقى ، كما يوحي التوكيد بحرص الشاعر على رغبته في الصياح ألماً وحسرة من حالهم ، فالألفاظ تحمل من الدلالات ما يوازي الإحساس في ذات الخطيب فالتكرار " يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف اهتمام المتكلم بها "[٢]

وصل الخطيب بين الجمل للتوسط بين الكمالين لشدة ما بينها حيث لا يوهم الفصل خلاف المراد ، مع المناسبة الواضحة بينها ، فترى عطفه الجمل بعضها على بعض ليدل على النظائر ، ليكون المعنى أكثر عمقاً وتأثيراً ، كما ترى صحة التقسيم قد زين الفقرة وفيه وجد المتلقى الراحة النفسية لأن الخطيب أحاط بأنواع من البشر فالخطيب "يقسم الكلام قسمة متساوية تحتوي على أنواع من البشر "[٣]

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٧٢ تحقيق محمود شاكر

(٢) قضايا الشعر المعاصر صـ ٢٤٢ ، نازك الملائكة ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٣ م.

(٣) الصناعتين ٣٥٠ لأبي هلال العسكري تحقيق د/مفيد قمحة الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، دار الكتب العربية.

ففي هذه الفقرة ترى الخطيب قد أتى بصورتين مختلفتين لنفس الإنسان صورة الواثق المطمئن فإذا هو صورة الفاجع الذي صُرع بمصائب وأهوال الدنيا، فهو بينما يكون في مأمن وثقة واطمئنان إذ تأتيه الأهوال والمصائب من حيث لا يتوقع ، وبهذه تكون الضربة المؤلمة القاضية ، وصورة ذي الأبهة والعظمة فإذا هو بصورة الذليل الحقير ، وصورة صاحب السلطان والسلطة فإذا هو الفاقد لسلطانه وسيطرته ساقط على يديه.

وكان غرض الخطيب في هذا كله أن يأخذ أصحابه العبرة والعظة من هؤلاء الأقوام فلا يغتروا بالدنيا ولا يركنوا إليها ويغفلوا عن الآخرة.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٦٤٦٨

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# المبحث الخامس

# مظاهر تقلب الدنيا

" سُلْطَانُهَا دَوَلٌ وَغَيْثُهَا رَنْقٌ وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ وَحُلْوُهَا صَبْرٌ وَعَذَاؤُهَا سِمَامٌ وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ وَقُطافُهَا سَلَع ، حَيُّهَا بِعَرْضِ مَوْتٍ وَصَحِيحُهَا بِعَرْضِ سَقْمٍ وَمَنِيعُهَا بِعَرْضِ اهْتِضَامٍ ، مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيمُهَا مَنْكُوبٌ وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ "(١)

يستمر الخطيب في تصعيد موقفه من الحزن والأسى على حال الدنيا وخوفه على أتباعه أن يتبعوها لحقارتها وفنائها فكشف لهم أمرها في الخداع حتى تكون الأمور واضحة أمامهم فذكرهم بحالهم فيها ، فلجأ إلى الجملة الخبرية(٢) وهي من الضرب الإبتدائي لخلوها من التأكيد ، حيث يخبرهم الخطيب عن حقيقة الدنيا وقدرتها على خداعهم وتضليلهم وتقلبها وعدم دوام حالها ، و المراد من الخبر الفائدة وفيه تحقير أمر الدنيا حتى يستصغروها ، ويأخذوا حذرهم منها لتقلبها ويكون هذا دافعاً لجهادهم.

خص الإبتداء بالجمل الاسمية ؛ لتنبيه المخاطب وإثارة الفكر إلى ما حكم به على المبتدأ ، فأكد الخطيب كلامه باسمية الجملة ، والتأكيد مستفاد من دلالة الاسمية على الثبوت والدوام وكأن هذه الصفات دائمة لا تتغير.

" إن الإفتتاح بالاسم أقوى وأشد تأثيراً في النفس ولا سيما إذا جاء على صيغة المبتدأ ، لأن المبتدأ يلازم حالة التعريف مختصاً بالدلالة على الأشياء مجردة عن الزمن لذا كان الإفتتاح به يكسب القصيدة قوة من جهة الدلالة المباشرة على المعنى ".(٣)

---

(١) دول : الإنتقال من حال إلى حال ( لسان العرب / دول ).
( رنق ) : كدر ( لسان العرب / كدر ) سمام : جمع السَّمُّ القاتل ( لسان العرب / سمم ).
رمام : الرُّمَّة : قطعة من الحبل بالية والجمع رمام (لسان العرب / رمم )
سلع : السلع شجر مر ( لسان العرب / سلع )

(٢) الخبر : قول يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وصدق الخبر مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابقة حكمه له ( مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ٩٤٠ ) الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م مصطفى الحلبي ).

(٣) أثر النزعة العقلية في الفصيدة العربية ٦٥ د / أحمد علي محمد

وفي قوله " **سُلْطَانُهَا دَوَلٌ** " أي سلطان الدنيا ، استعارة مكنية ، صور الدنيا بإنسان يختص بأمور آخرين ويتحكم فيهم ، حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وفي إثبات سلطان إلى الدنيا استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية وهذا كناية عن تحكمها وتسلطها الدنيا وهي كناية عن صفة ، كما أن في الجملة إيجاز قصر حيث عبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة استطاع المخاطب فهمها واستيعابها.

وقوله " **وَغَيْثُهَا رَنْقٌ** " عطف جمل الفقرة بعضها على بعض للتوسط بين الكمالين ، لإتفاق الجمل في الخبرية لفظاً ومعنى ، وعن طريق الإستعارة المكنية يجسد الخطيب نعيم الدنيا وملذاتها وشهواتها بالغيث الكدر الذي لا يرجى من ورائه خير ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه " رَنْقٌ ".

وجمال الإستعارة أن الخطيب بين طبيعة حال الدنيا فهي كغيث يرجى من ورائه كل خير ولكن سرعان ما ترى أنه كدر لا يأت بخير بل سرعان ما يزول ويفنى ، فالإستعارة أسعفت الخطيب في البوح بمكنون صدره فصورت المعقول في صورة المحسوس ليؤكد الأمر ويبرزه ويقرره في نفوس المخاطبين.

وفي قوله " **عَذْبُهَا أُجَاجٌ** " في " عَذْبُهَا " أي عذب الدنيا " أُجَاجٌ " استعارة مكنية : شبه نعيم الدنيا الزائل بالماء الذي يكون في ظاهرة عذباً وفي الحقيقة هو أجاج ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وفي إسناد " عذب ، أجاج " إلى الدنيا ، استعارة تخيليلة ، وهي قرينة المكنية ، فالاستعارة التخيليلة هي أحسن الإستعارة لأنها تستوعب البنية في أقصى حدودها ".[١]

(١) البلاغة والسلطة في المغرب لعبد الجليل ناظم صـ ١٩١ ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م

والخطيب مقتبس هذه الجملة " عَذْبُهَا أُجَاجٌ " من قوله تعالى : " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ "(١) فالألفاظ المقتبسة من القرآن تزيد الكلام قوة وبلاغة ، وتضفي عليه حسناً وجمالاً وبهاءً ، فترى تأثر الخطيب بألفاظه ببعض الصيغ القرآنية.

ويستمر الخطيب في رسم صورة أخرى عن الدنيا للتنفير منها ففي قوله " وَحُلْوُهَا صَبْرٌ " ، فصور نعيم الدنيا الفاني بشيء ظاهرة حلو وفي الحقيقة هو شديد المرارة ، ( صبر ) وهو ثبات شديد المرارة – فنعيم الدنيا في ظاهرة خير وفي باطنة شر وهذا كناية عن خداع الدنيا وتضليلها والجملة فيها إيجاز قصر حيث عبر عن المعنى الكثير باللفظ اليسير.

والخطيب زين كلامه بالمحسن البديعي " الطباق " بين " عذب ، أجاج " و " حلو ، صبر " فأضاف إلى المعنى قوة وحسناً فالضد يظهر حسنة الضد " بالضد تتميز الأشياء وتتبين ويعم بجانب ذلك وضوح المعنى وترابط الأسلوب وتلاحمه واكتساؤه "(٢) ، ويقول الإمام عبد القاهر : " وإما التطبيق فأمره أبين " (٣)

فالطباق أثار وجدان المتلقى وجذب انتباهه وأصبح مشاركاً للخطيب في كل ما يقوله ويوافق عليه ، فالمعاني المتقابلة لها أثرها العجيب في النفس من ظهور الضد أمامها فازداد المعنى وضوحاً وازدادت الصورة جمالاً.

(غِذَاؤُهَا سِمَامٌ) يستمر الخطيب في رسم صورة أخرى للتنفير من الدنيا ، فصور نعيم الدنيا الزائل بما يتغذى به فهو ظاهرة غذاء وهو في الحقيقة سم قاتل ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ،

---

(١) سورة فاطر آية ١٢

(٢) دراسات منهجية في علم البديع ٥١ ، ٥٢ ، د/ الشحات محمد أبو ستيت.

(٣) أسرار البلاغة صـ ٢٦ ، تحقيق محمود شاكر.

فالدنيا بملذاتها وشهواتها في الظاهر نعيم إلا أن هذه الملذات والشهوات إذا كانت في غير رضا الله – جحيم وشقاء.

وهذه الجملة أيضاً كناية عن خداع الدنيا وتضليلها ، وهي إيجاز قصر فعبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، فالخطيب له موهبه فذة في تصوير الأشياء.

(أَسْبَابُهَا رِمَامٌ) يواصل الخطيب صوره عن حقيقة الدنيا الفانية ، فيصور الركون إلى نعيم الدنيا بصورة من يصعد على جبال بالية فسرعان أن يسقط ويهلك الصاعد فوقها ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية.

والشبه بين فناء الدنيا وبين سقوط من على الجبال البالية ليس موضع الحديث وإنما القصد أن ينبه إلى ما يقتضيه ذلك من عدم الركون إلى الدنيا ، وهذا معنى جليل بثه الخطيب إلى قلب اتباعه بطريق خفي جذاب.

" قُطَافُهَا سَلَع " يصل الخطيب إلى آخر صورة عن حقيقة الدنيا في أن ظاهرة الخير وباطنها الشر فكل ظاهرها يروق إلا أنه خداع وتضليل ، وفي هذه الصورة جعل النعيم الذي يعيشه الإنسان والملذات هي في ظاهرها حلو وفي باطنه مر ، فصور النعيم الزائل في الدنيا الذي يصل إليه الإنسان وركونه إليه بصورة السَّلَع وهو شجر مر.

كما حقق السجع بين " سهام ، رمام " أثر عميق في نفوس المخاطبين فأحدث موسيقى داخلية ذات جرس عذب مؤثر في النفس أسهم في ترسيخ الصورة التي أرادها الخطيب كما أحدث ترابطاً بين الجمل من خلال الوحدة النغمية وثرى الخطيب لا يهدف إلى الغاية الموسيقية الناتجة عن الجناس بين اللفظين بل يعمد إلى مجانسة دلاليه ، فالسمام وهو السم القاتل لشاربه والرمام وهي أيضاً القاتلة لصاحبها لأنها حبال بالية فكلاهما هلاك وفناء وهذه الصورة الدلالية هي

التي يريد الخطيب أن يثبتها في ذهن سامعيه فالدنيا دار فناء ولذلك يقول لهم أن يأخذوا منها ما ينفعهم وهو الجهاد في سبيل الله.

ويتضح من خلال الصور السابقة أن الخطيب أطال في رسم صور للدنيا للتنفير منها وعدم الركون إليها وتنطق بمدى حرصه على اتباعه لتزهيدهم في الدنيا وحثهم على الجهاد وذلك من خلال الإستعارات المكنية التي دلت على سعة خيال الخطيب وقدرته على الإبتكار والإبداع وبما فيها من تشخيص زاد في إيضاح الصورة وألبس المعنوي ثوب المحسوس وصوره تصويراً دقيقاً ينبض بالحركة والحياة يقول الإمام عبد القاهر : " إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقول كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون [١] والكناية وإيجاز القصر.

فترى التناسق الفني يشع في جو الفقرة بل الخطبة حيث أن الجمل متلاحمة تلاحماً مستحسناً ولو أفردت كل جملة استقلت بمعناها.

فموهبة الخطيب موهبة فذة في تصوير الأشياء يرى ما لا يراه غيره من الناس ، ويفسر ما عجز عنه الآخرون حتى إذا استمع إليه الآخرون تملكهم العجب والدهشة ؛ لتعبيره عما يجول بخاطرهم ، وبمكنون صدورهم فما قاله الخطيب هو ما يريدون التعبير عنه.

" حَيْهُا بِعَرْضِ مَوْتٍ وَصَحِيْحُهَا بِعَرْضِ سَقْمٍ وَمَنِيْعُهَا بِعَرْضِ اهْتِضَامِ " [٢]

يستكمل الخطيب في هذه الجمل وصف أحوال الناس في الدنيا ؛ ليكشف عن حقيقتها الزائفة التي يسعى إلى تأكيدها من خلال الألفاظ المتضادة ، فالحي

---

(١) أسرار البلاغة صـ : ٤١

(٢) ( منيعها ) : منيع لا يخلص إليه في قوم منعاء ، والمنيع أيضاً ظلم الممتنع ، ( لسان العرب/ منع) (اهتضام) : ظلم ، الهضيم والمهتضم جميعاً المظلوم ( لسان العرب / هضم ).

لابد له من الموت ، والصحيح يعرض عليه المرض والمنيع يعرض عليه الاقتحام فترى عطف الجمل بعضها على بعض للتوسط بين الكمالين ؛ لإتفاق الجمل في الخبرية لفظاً ومعنى ، وأكد كلامه باسمية الجمل والتأكيد مستفاد من دلالة الإسمية على الثبوت والإستمرار ، وليس هذا هو الغرض وإنما الغرض الإسراع إلى الجهاد حيث ظهرت لهم الكثير من الدلائل والبراهين على بيان حال أهل الدنيا فكان عليهم الارتداع عن الإنغماس في ملذاتها حتى تتحقق لهم الغاية ، وهي إعلاء كلمة الله " سبحانه وتعالى " بجهادهم .

فترى الطباق بين " حيها ، موت " وأيضاً بين " صحيحها ، سقم " و بين " منيع ، واهتضام " وفي كل جملة من الجمل صورة متضادة ؛ ليبرر ويوضح الفرق بين حال الإنسان فيهما ، فتوالي الطباق ؛ لزيادة المعنى ووضوحه ، فالضد يستدعي بعضه بعضاً ، والضد أقرب خطوراً بالبال إذا ذكر ضده.

وترى في قوله " بعرض ، بعرض ، بعرض " تكرار وهو من أساليب ألإطناب وبلاغته " المبالغة في الأمر المظهر وإظهار الفخامة فيه ".(١)

ولا شك أن التكرار سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحاً مثمراً إذا طرق النفوس من أبواب ملونة وقد يكون مبعث السأم والضيق إذا فقد التلوين في العرض والإبداع في التصوير حتى ليؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عن فحواه".(٢)

وترى الخطيب نوع في تكراره ؛ لاستمالة المخاطبين وباعتباره وسيلة تساعده عن الكشف بما بداخله ، وبلاغة التكرار المبالغة في تأكيد الخبر

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة صـ٢٧٣ تأليف السيد يحيى بن حمزة العلوي(طبعة دار الكتب العلمية )

(٢) البلاغة النبوية ١٩٠ ، د/ محمد رجب البيومي ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، ط الأولى ٢٠٠٨ م

وتوضيحه ؛ ليصل إلى حكم عام وهو أن كل إنسان في الدنيا لابد أن يعرض عليه هذه الأمور من الموت والسقم ، وهذا ما دل على تغير وتقلب الأحوال ، كما ترى الغرض من المبالغة الإسراع إلى الأعمال الصالحة الجهاد واغتنام الأوقات قبل فواتها فهي أيام ويتغير ويتبدل الحال من حال إلى حال.

كما ترى المحسن البديعي " رد العجز " [١] في " بعرض " الأولى ، و" بعرض " الأخيرة ، له دور كبير في تشكيل الصورة ، بما يحمله من موسيقى لفظية من خلال التكرار النغمي الذي يراد به تقوية الجرس " فاللفظ المكرر مصباح منير يسلط ضوءه على الصورة ، لاتصاله الوثيق بالوجدان فالمنشيء يكرر ما أثار عنايته وأراد نقل إحساسه إلى الآخرين ".[٢]

فاللفظين " بعرض ، بعرض " متفقين معنى ، وفي هذا تأكيد للمعاني وتقريرها ؛ لأن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع ، وقد ذكر أبو هلال العسكري موقع هذا اللون وأثره على النفس فقال : " إن لرد الإعجاز على الصدور موقعاً جليلاً في البلاغة ، وله في المنظوم خاصة محلاً خطيراً "[٣]

ويقول ابن رشيق في كتابه " العمدة " : " إنْ ترد أعجاز الكلام على صدورها فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر ، وإذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ويكسوه رونقاً ويزيده مائية وطلاوة " [٤]

---

(١) عرف البلاغيون رد العجز بأنه جعل أحد اللفظي المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها هذا في النثر ، ينظر شروح التلخيص ١٣٤/٤

(٢) التكرير بين المثير والتأثير١٣٦ لعز الدين السيد ، ط الثانية، دار الكتب المصرية ١٩٨٦م.

(٣) الصناعتين صـ ٢٠٠

(٤) العمدة جـ١ ، صـ ١

" وهذا اللون من المحسنات اللفظية فيه نوع من الدلالة والتقرير ، فالكلام الذي تردد ألفاظه ويرجع بعضها إلى بعض فيه تقرير وبيان وتدليل " (١)

ولا يخفي ظهور التفويف في الجمل كساها جمالاً وبهاءً ، فقد جاء الخطيب بالمعنى في جمل متناسبة مستودية المقاوية مع المناسبة اللفظية بين الجمل ، فالجمل جمل اسمية.

" مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ وَجَامِعُهَا مَحْرُوبٌ "(٢)

يواصل الخطيب في هذه الجمل وصف أحوال البشر في الدنيا المغتربين بها والخاضعين لها فمن هو على صفة اليوم فهو على نقيضها الغد ، فالمالك مسلوب ، والعزيز مغلوب ، والسليم منكوب ، مريض وجامع كل ما فيها محروب ، فهؤلاء البشر ساءت أحوالهم وفقدوا كل مجدهم وملكهم وقوتهم وصحتهم ، فطابق الخطيب بين " مليكها " ، وبين مسلوب ، وطابق بين " عزيز " و " مغلوب " وأيضاً بين " سليم " وبين " منكوب " وبين " جامعها " ، وبين " محروب ".

وقد استخدم اسم المفعول ليظهر حال الدنيا من السلب والغلبة والنكبة وتصوير حال الإنسان المقبل عليها فاسم المفعول يدل على وقوع الحدث ويهتم بالذي وقع عليه الفعل وليس الفاعل أي يهتم بالمفعول فقط.

ولا يخفي ما للطباق من أثر واضح في الكلام ، وما يضفيه على المعنى من حسن وبهاء، فهو أضفى على المعنى بعداً جمالياً عن طريق التضاد ليوضح تغيير حال الإنسان من حال إلى حال ، فهو قد فقد كل مظاهر الملك والسيطرة

---

(١) فن البديع ٢٧٣ ، أ.د/ عبد الفتاح لاشين ، طبعة ١٩٨٤م

(٢) ( جامعها ) : الجامع : الذي يجمع ( لسان العرب / جمع ).

(محروب ) : من الحَرَب بالتحريك : نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له وقد حَرِب ماله أي : سُلِبه فهو محروب

والسلطة والعزة فالمالك اليوم هو المسلوب غداً ، والعزيز اليوم هو المغلـــوب ، والصحيح والسليم هو المريض ، والجامع للشيء هو المحروب أي المسلوب.

فالصورة من قسمين القسم الأول صورة الشيء الموجود ، والنعيم بكل ما فيه من مظاهر القوة والسلطة ، والقسم الثاني صورة فقد كـــل الأشـــياء ، وكـــل مظاهر النعيم والترف ، وفقد الصحة والعزة.

فالطباق هنا ليس حلية أو زينة فقد بل له أثر كبير في بيان الحقيقة ؛ لذلك كان له أثر في قوة المعنى وجمال التصوير ، فالطباق " مـــن الأمـــور الفطريـــة المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ، إذ الضد أقرب خطـــوراً بالبال عند ذكر ضده كما يقولون" [١] ، حتى ظهر للمخاطب كل التفاصيل كان عليه أن يفهم ويستنبط الأمور فتظهر أمامه حقيقة الدنيا التي يجري وراءها بملـــذاتها وشهواتها فيعرف أنها ليست على حال ، وأنها فانية لا تستحق فينصرف عنها.

• عطف الجمل بعضها على بعض للتوسط بين الكمالين ؛ لإتفاق الجمل في الخبرية لفظاً ومعنى.

• ترى استخدام الخطيب الألفاظ والتراكيب في صيغ معينـــة ، فاســـتخدام صيغة المبالغة " فعيل " في قوله : " مليك ، عزيز ، سليم " ليرمـــز إلـــى إظهـــار مبالغة حاله في النعيم الذي كان فيه ، وهذا يدلل على أنه في نعيم وسلطة وعزة وصحة في أحسن أحوالها ، وفي قمة ازدهارها ، فكان للتضعيف أثره فـــي أداء المعنى وتكرار وزن " فعيل " قدم تكراراً إيقاعياً جميلاً ، فهو يكرر هذا الوزن لتقر دلالتها في ذهن المتلقى وتقويها ، أما قوله : " جامع " لم يقل جميع مثل " مليك ، عزيز ، حليم " حفاظاً على الوزن الذي قصده من بداية الجمل.

---

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية صـــ ٤٨١ ، أ.د/ أحمـــد موســـى (دار الكتـــاب العربـــي ١٣٨٨هـــ - ١٩٦٣ م)

كما استخدم اسم المفعول في " مسلوب " مغلوب منكوب محروب " ، ليدل على وقوع الحدث ولتصوير حال الذي وقع عليه السلب والغلبة والنكبة والحربة فهو قد فقد كل ما كان فيه من نعيم وعزة وصحة.

- كما ترى المحسن البديعي التفويف في الجمل كسى الكلام حسناءَ وبهاءً ، فقد جاء الخطيب بالمعنى في جمل متناسبة مع المناسبة اللفظية بين الجمل فالجمل جميعها جمل اسمية أكدت الكلام ، والتأكيد مستفاد من دلالة الإسمية على الثبوت والدوام وكأن هذه الصفات لا تتغير فكل إنسان لابد أن يعرض عليه هذه الصفات ، وقد وضحها الخطيب لأتباعه حرصاً عليهم وحثهم على الجهاد.

كما ان المحسن البديعي اللفظي " السجع " كان له دوراً في " الموسيقى الداخلية التي تجذب المخاطب وتؤثر فيه ، فرسالة السجع قائمة على التأثير في نفس المتلقى حتى ينال منه أحسن موقع في الدلالة والإيقاع المتناعم والخطيب اقتبس هذا التصوير " مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ " من قوله تعالى : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون " (١)

فترى أن للخطيب طريقته في استخدام الألفاظ وتركيبها في صيغ معينة ، وجعل لها قدرة تصويرية وإيقاعية تنقل عما يجول بخاطره.

(١) سورة يونس آية ٢٤

# المبحث السادس

# تصوير مشهد الموت ويوم القيامة ،

# واستشهاده من القرآن الكريم

" مَعْ أَنْ وَرَاء ذَلِّكَ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَهَوْلُ الْمَطْلَعِ وَالْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِّ الْحَكَمْ الْعَدْلِ ، " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "(١)

حرص الخطيب على تهوين شأن الدنيا في نظر أتباعه ، ليأخذوا منها ما ينفعهم وليحرصوا على الجهاد ، فتكلم عن سكرات الموت وما يلاقيه الإنسان بعد الموت ، وذلك ؛ لبث الخوف في نفوس المخاطبين وتذكيرهم بأن الموت قريب منهم.

وهذه الجمل تعكس الحالة النفسية للخطيب وما يعتمل بداخله من اضطراب وتحير بسبب خوفه على أتباعه ، وهذه الجمل كناية عن انتهاء الحياة حتى لم يعد أمل في العودة مرة أخرى ، فتؤثر هذه الكناية تأثيراً شديداً في نفس المتلقى فتحمله على الزهد في الدنيا والعمل للآخرة.

وكما ترى إيجاز القصر في الجمل ، حيث عبر عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، فصور لحظة فراق الدنيا ، وتكلم عن سكرات الموت وما يعانيه الإنسان عند خروج روحه إلا إذا كان عمله صالحاً ، كما صور هول يوم القيامة ، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ؛ للسؤال والحساب عما قدم من عمل خير أو شر ، وكل هذا يثير الرعب والخوف في نفوس المخاطبين فيقبلوا على الآخرة والعمل لها دون تردد أو تفكير لأنها هي الحياة الأبدية.

ثم يذكر الآية الكريمة ؛ ليدلل على صحة كلامه ، وليعرفوهم حقيقة الدنيا حتى لا ينغمسوا في ملذاتها وشهواتها " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى " (٢)

---

(١) سورة النجم الآية ٣١

(٢) سورة النجم آية ٣١

الآية استئناف بياني ؛ لذا تعين الفصل بينها وبين الجملة السابقة " ولله ما في السموات وما في الأرض " التي أوحت بسؤال مقدر عند سماعها " لماذا لله ما في السموات وما في الأرض ؟" فجاءت الآية الكريمة جواباً لذلك السؤال فالفصل بينهما ؛ لشبه كمال الإتصال حيث يتعين الفصل بين السؤال والجواب.

" الَّذِينَ أَسَاؤُوا "

– بدأت الجملة بتعريف المسند إليه بالموصوليه ؛ لجذب انتباه المخاطب إذ يجعل المخاطب في تساؤل لتحديد المقصود ويستمر مع الآية حتى نهايتها ؛ ليصل إلى المراد منها ، واسم الموصول مرتبط بصلته وهو " أساءوا " فيفيد بذلك تميزهم بتلك الصلة مع تحقيرهم في حيز الصلة ، كما يفيد التشويق إلى الخبر " بما عملوا " فالإسم الموصول يجعل المتلقى في تشوق إلى معرفة الحكم ، فيأت الخبر متناسقاً مع الصلة ، وكذلك قوله " الذين أحسنوا "

– عرف المسند إليه بالموصولية " الذين أحسنوا " ؛ لتميزهم بتلك الصلة مع مدحهم.

– حذف المسند إليه من الجملة والتقدير : ليجزى الله ؛ لاختصاص الفعل بالله عز وجل ، وللإيجاز ؛ لأن المسند المذكور لا ينصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

" فالحذف يكون مطلباً غالباً للارتقاء بالتراكيب والارتفاع بها إلى سماء عالية حين يأتي في موضعه ومكانه "[١]

" بما " التعبير بالموصول لإفادة العموم والشمول ، فالجزاء على جميع أعمالهم.

---

(١) من بلاغة المعاني صـ ٧٠ ، أ. د/ الوصيف هلال الوصيف

" عملوا " جملة خبرية ، القصد منها الوعيد والتهديد ، حتى يكون رادعاً للمخاطبين لعلهم يتفكرون ويخافون من تلك الجزاء ، فيتغير حالهم إلى الإحسان.

– آثر النظم القرآني لفظ " عملوا " دون فعلوا ويسمى هذا ائتلاف اللفظ معنى المعنى ، وهو " أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ومناسبة له "[١]

فالقرآن الكريم ألفاظه مؤتلفة مع معانيه لا يقوم لفظ مقام آخر ولكل لفظ خاصية فريدة لا تكون مع غيره ، فآثر لفظ " عملوا " دون فعلوا " لأن " العمل أخص من الفعل فكل عمل فعلاً ولا ينعكس " [٢] ، فالفعل أعم " العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة "[٣]

فالعمل كل فعل بقصد مرتبط بوقت تحصيل العمل ، أما الفعل عمل بدون قصد مع سرعة تحصيل ، فترى أن لكل لفظ في القرآن ما يناسب المقام ، ولو نزع من مكانه لاختل المعنى.

– فصلت الواو بين " ليجزى الذين أسأوا بما عملوا " و " يجزى الذين أحسنوا بالحسنى " للتوسط بين الكمالين فهما خبريتان لفظاً ومعنى.

– كرر الفعل " يجزى " لتأكيد الخبر ، وبيان أن هذا حكم عام ، يشمل كل من أساء وكل من أحسن فمن أساء يجزى على إساءته ، ومن أحسن فيجزى بالحسنى .

– كما عبر بالفعل المضارع " يجزى " ليجعل هذا الجزاء مشاهداً محسوساً أمامناً ، وليدل على أن هذا الجزاء متواصل لا انقطاع فيه.

---

(١) جواهر البلاغة : ٢٣٢

(٢) البرهان في علوم القرآن ٨٣/٤

(٣) المفردات في غريب القرآن ٣٤٨ للراغب الأصفهاني ، ت ٥٠٢ هـ تحقيق محمد سيد كيلاني ط أولى ١٣٨١ هـ – ٦١

" الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "

هذا يشير إلى عدل الله وفضله وكرمه بين عباده ، فالجزاء من جنس العمل ، والجزاء على قدر الإيمان والعمل الصالح ، فدرجات الجنة متفاوته بين العباد.

" الحسنى " أراد الله عز وجل أن يبين أن الإحسان هو السبب في جزائهم الحسنى.

كلمات القرآن الكريم ليست على حد سواء في أداء المعاني المرادة بل تختلف فيما بينهم ، فحين ينظر المرء في الألفاظ المتقاربة من بعضها في أداء المعاني يتوهم أنها مترادفة ، لكن لكل لفظ خاصيته التي لا يقوم غيره به وهذا ما يسمى بـ " ائتلاف اللفظ مع المعنى " وهو أن تكون الألفاظ لائقة بالمعنى المقصود ، وتتجلى دقة النظم ، وتتجلى دقة النظم حيث آثر لفظ " الحسنى دون بما عملوا أو الجنة " فالجنة سبعاً جنة الفردوس وعدن ، وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليين "[١]

فاختلاف درجات الجنة باختلاف الأعمال ، وهذا يدل على فضل الله وإحسانه ، وفي هذا دلالة قوية على دقة إعجاز نظم القرآن ، فالذين أساءوا جزاءهم على أساءتهم أما الذين أحسنوا جزاءهم الحسنى ، والآية مقابلة لطيفة بين جزاء المسيء الذي أساء ، وجزاء المحسن الذي أحسن ، فلها دور أساسي في تصوير الشيء ونقيضه ولفت الذهن إلى عقد مقارنة ، وموازنة بين أثر هذا وخطر ذاك ، حتى يأخذ المخاطب حذره ويتضح له الصواب من خلال استحضار الصورتين المتقابلتين ، فالمقابلة لها أثرها في بلاغة الكلام لما لها من أثر في تثبيت المعنى وتقويته.

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ٩٨

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# المبحث السابع

# حال المغتريين بالدنيا من الأقوام السابقة

# في الدنيا قبل الموت

" أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعَبَّدُوا لِلدُنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارِ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ "

أراد الخطيب أن يذكرهم بالأقوام السابقة ، وقد توافر لديهم كل سبيل النعيم من الصحة والمال وطول العمر وكثرة الجنود فلم يبق من آثارها شيء وجاء من بعدهم سكنوا منازلهم ، وكل سبل النعيم فلم يبق لها أثراً ؛ ليحثهم على الجهاد ويرغبهم في بذل النفس في سبيل الله حتى تكون نفوسهم مطمئنة لا يحرصوا على الحياة إلا ابتغاء مرضاة الله.

فالخطيب يبرهن على صحة كلامه ويذكر أمثلة حتى يقررهم بما يقوله فيشاركوه الأقوال فيتضح مراده.

جاءت الجملة الإنشائية مصدرة بالإستفهام ؛ لشد انتباه السامع ؛ ولدفع الملل عنه حتى يكون مقبلاً على الموضوع شغوفاً به ، ويقصد من الإستفهام التقرير ، فالخطيب يريد أن يقرهم بهذه الأمور ، فالإستفهام أوجد ترابطاً في التركيب وتناسق في ثناياه فكان ملوناً للإيقاع ، مثيراً للمتلقى ، وفي إيثار استخدام أداة الإستفهام " الهمزة " لإفادة تأكيد مطابقة النسبة الكلامية لواقع حالهم ، فهو يشير أن الأقوام السابقة ومخاطبية قد جمعهم حب الدنيا والسعي والإقبال عليها ، ويخشى أن يصب قومه ما قد أصاب الأمم السابقة من الهلاك وخسران الآخرة فهو يسبق لهم العبرة والعظة ؛ حتى يعتبروا ويتعظوا ولا يسبروا على نفس طريقهم لأنهم أتيحت لهم الفرصة للإطلاع على حالهم وأخبارهم وهلاكهم لعلهم يتعظوا.

والخطيب اقتبس هذه الفقرة من " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعَبَّدُوا

لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثرَوُهَا أَيَّ إِيثَارِ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ " قوله تعالى " وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال " (١)

ومن قوله تعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا "(٢)

استطاع الخطيب أن يبني كلامه على القوة والتلاحم عن طريق الاقتباس ، وبهذا صار كلامه قوياً بليغاً ، فالآيتان تحذير ووعيد من الله سبحانه وتعالى ، كما حذر الخطيب أتباعه وقدم لهم عاقبة الأقوام السابقة حتى يرتدعوا ، عبر باسم التفضيل " أطول ، أوضح ، أوعد ، أكثف ، أعند " ليظهر المقابلة بين الطرفين بين الأقوام السابقة وبين مخاطبيه ، فأفعل التفضيل جمع بين المتضادين فالأقوام السابقة أطول أعماراً ، والحاضرون أقصر ، والأقوام السابقة أوضح أثاراً والحاضرون أبهم ، والأقوام السابقة أوعد عديداً ، والحاضرون ليس لهم قوة وعدة ، والأقوام السابقة أكثف جنوداً والحاضرون أقل ، فأفعل التفضيل جمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل بينهم حتى تصير الأمور واضحة أمام المخاطبين.

نكر " جنوداً ، آثاراً ، عديد ، عنوداً " : للتقليل وتأكيد ما حدث ، ليدلل الخطيب على عدم استفادة الأقوام السابقة حتى بالشيء القليل من النعيم الذي كانوا فيه فلم يستفيدوا بطول العمر ، ولا بكثرة الجنود ، ولا النعيم ، ولم تغنهم هذه الإمكانيات شيئاً.

" وَأَعَدُّ عَدِيْدَا ، وَأَعْنَدُ عُنُوداً " تأكيد أفعل التفضيل بالمصدر لتحقيق " أوعد، أعند " والمصدر ضرب من ضروب تأكيد المعنى ليدل على دلالة معينة

(١) سورة إبراهيم آية ٤٥
(٢) سورة محمد آية ١٠

له دور في إبراز الإيقاع الداخلي وهي تكرار[١] لما سبق ، وبلاغته المبالغة في تأكيد الخبر و " المبالغة في الأمر المظهر وإظهار الفخامة فيه "[٢] ، كما لجأ الخطيب إلى تكرار الحروف في الكلمات والعبارات المتجاورة كـ " حرف الدال " في أوعد عديداً وأكثف جنوداً وأعند عنوداً " للجمال الإيقاعي ، وهذا مما يشيع لوناً جميلاً جذاباً من التجانس ؛ لإحداث نوع من التوازن الموسيقي ، فتكرار الحروف ، لإستمالة المخاطبين ، وتأكيد وتقوية فكرة الخطيب في ذهن السامعين.

" تَعَبَّدُوا لِلْدُنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارِ وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ "

يواصل الخطيب حديثه عن الأقوام السابقة ، وكشف لأتباعه عند شدة إقبال هؤلاء الأقوام على الدنيا ، والسعي إليها ، وإقبالهم على ملذاتها وشهواتها حيث صاروا عبيداً لها ، وأصبحت شغلهم الشاغل ، وفضلوها عن الآخرة فكان عاقبتهم أن ظعنوا عنها بالكره ، فتركوها لمن بعدهم كُرْهاً وأصبح هلاكهم عبرة لمن جاء بعدهم.

جملة " أي تعبد " " أي إيثار " هي جملة تفسيرية ؛ لتوضيح وكشف ما قبلها ، فهي وضحت وكشفت كيف صار عبيداً مُؤْثرين لها لإقبالهم وانكبابهم عليها.

جمع الخطيب بين الفعل مصدره في " تعبدوا – تعبد ، وآثروا – إيثار " ؛ لتأكيد عبوديتهم وتفضيلهم للدنيا وهذا التأكيد له دور في إبراز الإيقاع الداخلي للعبارات ؛ لإنتباه المخاطبين ، واستمالتهم وتقوية فكرة الخطيب.

فالإيقاع الموسيقي جزء من العمل الفني يصور أجمل جانب فيه وأصدقه ، فالموسيقى والخطيب صنوان لا يفترقان

---

(١) التكرار من أساليب الإطناب.
(٢) الطراز صـ ٢٧٣

" وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ "

أي أن هؤلاء الأمم السابقة بالرغم من إقبالهم على الدنيا وانكبابهم عليها بإيذائها فكل ما كانوا فيه من متاع الدنيا من الأموال والأولاد والجنود وكل ما يحيط بهم تركوه ، وهذا يشير إلى استئصالهم فكل ما أحبوه كان سبيلاً لتدميرهم وهلاكهم.

قدم الجار والمجرور " عنها " لغرض القصر ، " كان الوصل بين " الصغار" و " الكره " للتناسب الظاهر بينهما فالمسند واحد بينهما ، وفي الجملة إيجاز قصر عبر باللفظ القليل عن المعنى الكثير.

# المبحث الثامن

# حال الدنيا بإدبارها

# وقسوتها عن المغتربين بها

" فَهَلْ بَلَغَكُمُ ، أَنَّ الْدُنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسَاً بِفِدْيَةٍ أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمَ فِيْمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمُ بِخطْبِ ، بَلْ قَدْ أَرْهَقَتْهُم [١] بِالفَوَادِحِ [٢] وَضَعْضَعَتْهُمْ [٣] بِالنَوَائِبِ ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالْمَصَائِبِ "

يظهر الخطيب في هذه الفقرة مدى البعد والتضاد بين حال المقلبين على الدنيا ، و حال الدنيا معهم ، فهم قد أقبلوا على الدنيا بكل ملذاتها وشهواتها ولكنها " الدنيا " أعرضت عنهم وأهلكتهم بالفوادح والمصائب.

" فَهَلْ بَلَغَكُمُ ، أَنَّ الْدُنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسَاً بِفِدْيَةٍ أَوْ أَغْنَتْ عَنْهُمَ فِيْمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمُ بِخطْبِ " " الفاء " في " فهل " استئنافية ، والجملة استئناف مسبوق لبيان حقيقة الدنيا مع أهلها " أن الدنيا " وضع الظاهر " الدنيا " موضع المضمر " أنها " للتسجيل عليهم بتنكر وخداع الدنيا لأهلها ، وخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من البلاغة العالية والدقة في الكلام.

والتعبير بالأسلوب الإنشائي " الإستفهام " بدأ به للدعوة إلى التفكير ، و ليثمر الإنتباه ويلفت الأذهان ويجذب السامعين ، ولهذا كان للإستفهام دور في تأكيد التوبيخ ، وتشديد التقريع وجذب المخاطبين ، فهو مبني على ثنائية الحوار بين السائل والمسؤل ؛ للبحث على الإجابة ، وهذا ما يحرك ذهن المخاطب ، وفي إيثار استخدام أداة الإستفهام " هل " لإفادة تأكيد مطابقة النسبة الكلامية لواقعهم فهو يشير إلى تحقيق تنكر الدنيا لأهلها.

---

(١) أرهقتهم : غشيتهم الرَّهق : غشيان الشيء ( لسان العرب ، رهق ).

(٢) الفوادح : مصيبة شديدة تاركة

(٣) ضعضع : هدمه حتى الأرض والضعضعة : الخضوع والتلل وقد ضعضعه الأمر فتضعضع وقد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور أي أذلهم ( لسان العرب / ضعع )

والإستفهام هنا ليس على حقيقته يطلب منه الإجابة على مجهول ، بل المراد منه النفي والإنكار على طبيعة الدنيا مع أهلها ، والتقدير : " ما بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالفوادح.

فكان أسلوب القصر عن طريق العطف بـ " بل " لتأكيد وتقرير أن الدنيا لم تقبل على أحد بخير بل بالإهلاك والمصائب ، ولذا جاءت الكناية في قوله " أرهقتهم بالنوائب " لتأكيد حقيقة الدنيا.

جاء البناء الإستعاري في الفقرة لؤكد تلك الحقيقة ففي قوله : " ضعضعتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب " ، استعارة مكنية.

فشبه نوائب الدنيا بشيء محسوس يهدم البناء ، ولا يبقى منه أثر ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ، وهذه الإستعارة تدل على شدة النوائب وتأثيرها على أهلها ، فهي تهدمهم جسمياً ونفسياً وهي كناية عن ذلهم.

وكذلك قوله : " عقرتهم بالمصائب " فصور مصائب الدنيا بآلة حادة تذبح ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الإستعارة المكنية ، وهذه الإستعارة دلت على شدة إيذاء ، وعذاب مصائب الدنيا ، فهي تذبح صاحبها وتقضي عليه نهائياً ، وهذا كله ، ليفيد تأكيد تقرير أن الدنيا لا تقبل على أحد بخير ، ودلالة الفعل الماضي " أرهقت وضعضعت وعقرت " ليفيد تحقيق الوقوع ، وفي ذلك لبث الخوف والرهبة في نفوس المخاطبين لما سينالهم من نوائب ومصائب الدنيا لعلهم يحذرونها.

فترى الخطيب قد زين كلامه بالمحسن المعنوي " مراعاة النظير " مع " أرهقت وضعضعت وعقرت " ، وهذا يدل على عناية الخطيب بترتيب معانيه وأفكاره حتى جاء أسلوبه متقناً لا ثغره فيه.

أثر الخطيب صيغ الجمع " الفوادح والنوائب والمصائب " للدلالة على كثرة وتتابع المصائب والفوادح ، ترى أن الخطيب ينوع في ألأساليب بين الجملة الخبرية والإنشائية لتلوين الكلام وتجديد نشاط السامعين.

" وَقَدْ رَأَيْتُمُ تَنَكُرْهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَخْلَدَ إِلْيَهَا حِيْنَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ إِلَىَّ آخِرِ الْمُسْنَدِ "

يبرز الخطيب تنكر وقسوة الدنيا لمن لجأ إليها ، ولاذ بها وهي تقسو عليه وتدبر عنه ، عطف الجملة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين ؛ لإتفاق الجملتين في الخبرية لفظاً ومعنى ، والجملة كناية عن قسوة الدنيا على أهلها.

وقد عبر عن تحقيق تنكر الدنيا لأهلها باستخدام حرف التحقيق " قد " مع الفعل الماضي " رأيتم " وإحالة ضمير الغائب على الدنيا وفي قوله " تنكرها " وهذا كله لإفادة تحقيق القسوة والتنكير.

" لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَخْلَدَ إِلْيَهَا "

عطف قوله " أخلد لها " على قوله " دان لها " للتوسط بين الكمالين فهي صفة أخرى للإنسان في الدنيا أنه دان لها وأخلد إلى ملذاتها وشهوتها.

وتعتبر جملة " لِمَنْ دَانَ لَهَا وَأَخْلَدَ إِلْيَهَا " من إيجاز القصر الذي عبر به عن المعنى الكثير باللفظ القليل ، ليشمل بذلك صور ركون الإنسان إلى الدنيا والإنغماس في شهواتها ، وإقباله عليها ، ثم ترى الضد والعكس من حال الدنيا بقوله " حين ظعنوا عنها لفراق إلى الأبد " فردها على من قرب منها وأخلد إليها ليس بالتنكر والتجاهل فقط بل بالموت والرحيل إلىالأبد ، وترى هنا صورة تضاد واضحة بين حال الإنسان في الإقبال الشديد وصورة الدنيا في الإعراض الشديد عنه فالعلاقة بينهما عكسية فشتان بين الصورتين ، والخطيب يحاول أن يذكر

أصحابه بهذه الأحوال ؛ لتبقى هذه الأحوال ماثلة في ذهن المخاطبين لأخذ العبرة والعظة.

" هَلْ زَوَدَتْهُمْ إِلاَّ الشقاء وأَحَلَّتْهُم إِلاَّ الْضَنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمُ إِلاَّ النَّدَامَة "

يواصل الخطيب تساؤله لمخاطبيه ، لتأكيد ما يقصده من تحقير الدنيا وتنكرها لمن تقرب منها وأخلد إليها فعبر بالأسلوب الإنشائي الاستفهام ؛ لجذب انتباه المخاطب والإستفهام هنا ليس على حقيقته بل المراد منه النفي والتقدير.

" ما زَوَدَتْهُمْ إِلاَّ الشقاء وأَحَلَّتْهُم إِلاَّ الْضَنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمُ إِلاَّ النَّدَامَة "

استخدم الخطيب أسلوب القصر حتى يؤكد لهم ما من شأنه أن ينكره المخاطب ، أو يجهل عليه ؛ لأن المقبل على الدنيا بكل شهواتها ، وملذاتها شأن المنكر لعواقبها ؛ ولذلك شبهه بالجاهل ، وخاطبه بأسلوب القصر للتأكيد والإيجاز؛ وليذكره عما هو غافل عنه ، فالمخاطب أقبل على الدنيا ، وهي قد أدبرت عنه ولم تعطيه إلا الشقاء ولم تنزله محلاً كريماً بل أنزلته الضنك ولم يعيش فيها إلا في ظلام الشهوات والملذات ولم يأخذ منها إلا الندامة ، وبهذا أصبح القصر أكثر تأثيراً وقوة في أداء المعنى المراد من بيان خداع الدنيا لمن دان لها وأخلد إليها وتحديد هذا المعنى تحديداً واضحاً بالإضافة إلى الإيجاز في العبارة ، واختيار الشاعر لهذا الطريق ( طريق القصر بالنفي والإستثناء " يدل على دقة الشاعر وعلى قدرته في تخير ما يتلاءم مع المعنى يقول الإمام عبد القاهر : " وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو : ما هذا إلا كذا ، وأن هذا إلا كذا فيكون الأمر ينكر المخاطب ويشك فيه "[١]

(١) دلائل الإعجاز ٢٧ تحقيق محمود شاكر

وترى الخطيب يستخدم المحسن البديعي " الطباق " بين " نورت " وهي فعل وبين " الظلمة " هي اسم وذلك ليثبت المعنى ، ويؤكده في الـنفس ؛ لأن الضـد أقرب خطوراً بالبال إذا ذكر ضده.

كما ترى أيضاً المحسن البديعي " تأكيد الذم بما يشبه المـدح " وهـو أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم بتقدير دخولها ، فالخطيب نفى عن الـدنيا صفة مدح ، وهي الزيادة والإحلال والنور ثم استثنى بعد هذا النفي الذي ينتظـر أن يكن ما بعده مخرجاً لشيء مما قبله فإذا الضنك والظلمة والندامة وبذلك تأكـد ذم الدنيا ، صفة ذم " الشقاء والضنك والظلمة والندامة " فيتأكد الذم علـى الـذم وهو كدعوى الشيء يبيه كما يحقق نوعاً من المفاجأة تكسـب الكـلام طرافـه ، وتثير الإهتمام.

# المبحث التاسع

# التنفير من الدنيا

" أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُون أَمْ عَلَيْهَا تَطْمَئِنُون "

بعد أن ذكر الخطيب تنكر الدنيا لأهلها ، ولمن دان لهـا وأخلـد إليهـا ، وخداعها لهم وتخليها عنهم ، أتى بالإستفهام وذلك لمن علم صفات وأحوال الدنيا ومع ذلك هو متمسك بها ، فيوبخه على صنيعه وفيه تنوع فـي الأسـاليب بـين الجملة الخبرية والإنشائية لتلوين الكلام وتجديد نشاط السامعين ويُقَرْعُـه علـى فعله حتى لا يقبل عليها.

فبدأت الجملة بالإستفهام ، وهو ما يثير في النفس الإهتمام والمقصود من الإستفهام معناه البلاغي ، وهو التحقير أي تحقير الدنيا وهذا التحقير يؤذن بأنـه ينبغي لا تتمسك بها ، فهي فانية وزائلة ، وهذا الإسـتفهام سـاعد فـي تقويـة المعنى، وتقريره في ذهن المتلقى.

عمل اسم الإشارة على ربط تركيب الجمل فهو يعد رابطاً لفظياً بين الجمل؛ لارتباطه بالمشار إليه " الدنيا " للتهكم والإستهزاء والسخرية ، وقد عرفها "الدنيا" باسم الإشارة ؛ للتميز ؛ ولاستحضارها أمام السامعين ، كما أن فيها سر بلاغـي آخر وهو تجسيد المعنويات " الدنيا " في صورة محسوسة مشاهدة تـدعو إلـى إيقاظ الفكر ، والتدبر ، والتفكر.

عبر بالفعل المضارع " تؤثرون " تحرصون ، تطمئنون " للتجدد والاستمرار ودلالة على تكرار الإيثار ، والحرص والإطمئنان ولا يخفى ما بينهم من مراعـاة نظير وتناسب ؛ لأن الشيء الذي تؤثره وتحرص عليه له علاقة وثيقة بأن يجعل الشخص مطمئناً.

عبر الخطيب عن المعنى نفسه بأكثر من جملة ، ليسهم في ترسيخ المعنى وتقويته ، وهو تحقير الدنيا وذمها والتنفير منها وحثهم على الزهد فيها والعمـل على الجهاد من أجل الآخرة.

" يقول الله : " مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون " (١)

من عمل صالحاً للدنيا أخذ جزاؤه في الدنيا ، وحبط عمله في الآخرة ، فمن عمل صالحاً في غير تقوى كعمل أهل الكفر من صلة رحم ، أو أي عمل من أعمال البر له ثوابه في الدنيا من سعة ، في العيش ، والرزق ، وليس له في الآخرة نصيب ، وقيل ممن عمل من المسلمين ولم يتقبل منه لأنه أراد بعمله الدنيا.

والموصول " من " متضمن معنى الشرط ، وتعريف المسند إليه بالموصوليه " من " للإشارة إلى وجه بناء الخبر حيث أن مضمون الصلة " يريد الحياة الدنيا وزينتها " يتناسب مع مفهوم الخبر " نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ " فالتعبير بالموصولية أشار إلى نوع بناء الخبر وتحقق التوافق بينهما.

" وهذا اللون من النظم له روعته وبلاغته وبهاؤه ورواؤه وإمتاعة وإقناعه ، فيه انسجام النفس وتوازنها لمجيئه على مألوفها ، فأنت معه في ثراء من المعنى .... وهو في ذلك كله دعوى تحمل دليلاً فكل مقدمة تنطق بنتيجتها وكل نتيجة تتطابق مع مقدماتها (٢)

" يريد الحياة الدنيا " وصف " الحياة " ، " الدنيا " لتدنيها عن كل جليل ونافع.

وصل بين قوله : " زينتها " على قوله : " الحياة الدنيا " للتناسب الظاهر بينهما فالمسند " يريد " واحد بينهما.

---

(١) سورة هود آية ١٥ ، ١٦

(٢) المعاني في ظلال النظم القرآني : ١٨٦/١ ، أ / هاشم الديب

" نوف إليهم أعمالهم " حذف المسند ؛ للإيجاز ، مع كون المسند المذكور لا ينصرف إلا لله – سبحانه وتعالى – فهذا الفعل مختص فيه ، فسر الحذف هو تعين المسند إليه للمسند المذكور ، وفي الآية نجد أنه متعين حقيقة لأنه نوف إليهم أعمالهم لا تكون إلا لله – عز وجل.

والتعبير بالفعل المضارع " نوف " استحضار للصورة ، فالله – سبحانه وتعالى – يظهر لهم نتيجة ركونهم إلى الدنيا دون الآخرة ، فالجملة هي الأثر المترتب على الركون إلى الدنيا ، ومجيء " أعمالهم " جمعاً مع إضافتها لضمير " هم " ليدل على إعطائهم الجزاء على جميع أعمالهم ، وجاءت أعمالهم بحرف المد ألف ؛ لكثرة الأعمال فهي تحتاج إلى تأمل وتفكر ، لذا جاء ألف المد معبراً عن ذلك ، وختمت بضمير الغائبين المتصل " هم " ليقرع الآذان وينبه الأذهان.

" وهم فيها لا يبخسون " أي لا ينقصون ، عطف على الجملة السابقة ؛ للتوسط بين الكمالين حيث اتفقتا في الخبرية لفظاً ومعنى.

" أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ "والجملة مستأنفة استئناف بياني لذا فصلت عما قبلها لشبه كمال الإتصال [1] فهي إجابة لسؤال فهم من مضمون الآية السابقة تقديره وما جزاؤهم في الآخرة ؟ فجاءت الآية رادا على السؤال بأن ليس لهم في الآخرة إلا النار وأعمالهم باطلة ، فترى الفصل ألقى بظلاله البلاغية على الآية الكريمة ، فشبه كمال الإتصال أحد مواطن الفصل بين الجمل الذي تعتمد على سؤال تثيره الجملة الأولى ويجاب عنه في الجملة الثانية وبلاغته " الإيجاز بتكثير المعنى وتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطفة".

" أولئك " ارتبطت الآية بما قبلها من خلال اسم الإشارة " أولئك " الموضوع للبعيد لقصد تحقيرهم بالبعد للركون إلى الدنيا وزينتها.

---

(١) ينظر شروح التلخيص ٣/٥٥

وإشارة إلى سوء أفعالهم وتوبيخاً لهم على ما ارتكبوه من أفعال استوجبت دخولهم النار ، وفي اسم الإشارة تنبيه على أن المشار إليه استحق ما ذكر لأجل الصفات التي ذكرت قبل اسم الإشارة ، فاسم الإشارة يحدد المراد منه تحديداً واضحاً وقد أراد الله إبراز عاقبتهم ، والتأكيد عليها فميزهم باسم الإشارة ؛ ليتمكن المعنى في النفس.

عرف المسند إليه " الذين "بالموصولية ليتمكن الخبر في ذهن السامع ، فالتعبير بالإسم الموصول " الذين " يزيد المعنى قوة ووضوحاً ؛ لأنه يرد مبهماً فيدعوا العقل إلى التفكير والتأمل ، ثم يظهر معناه بورود الصلة ، وهذا من الإيضاح بعد الإبهام فمجيء المعنى مبهماً ثم موضحاً من وسائل توكيد المعنى وتقريره.

" الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون " الآية الكريمة مستأنفة ؛ لتوضيح عقاب من أراد الحياة الدنيا ، وزينتها ، وتظهر في هذه الآية رحمة الله – سبحانه وتعالى – بعباده حتى المعرض عن الآخرة رزقه ويعطيه جزاءه في الدنيا ويفيد ذمهم بما في حيز ، الصلة والتنبيه على استحقاقهم دخول النار في الآخرة.

" حبط ما صنعوا " ذكر نتيجة أعمالهم وأفعالهم في الدنيا بالإحباط ، أي إظهار بطلان صنيعهم ، وهذا تصوير كنائي ، يؤكد ويدلل على بطلان أعمالهم في الدنيا من أعمال الخير.

حذف المسند إليه من الجملة والتقدير " حبط الله ما صنعوا " لاختصاص الفعل بالله – عز وجل – وفيه إسراع ببيان الحكم بعد التشويق إليه.

" ما صنعوا " استخدم الموصول " ما " لتحقير صنعهم.

" وباطل ما كانوا يعملون " بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أن جزاؤهم النار وأن صنيعهم باطل ختم بوصف ثالث أعم وهو بطلان جميع أعمالهم.

أثر النظم القرآني " يعملون " دون " يفعلون " لأن العمل يدل على اتصال الحدث مع طول فترة حياتهم أما الفعل يدل على سرعة الحدث بدون بط.

ومنه قوله تعالى : " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل "(١) وقوله تعالى: " وَافْعَلُوا الْخَيْرَ "(٢) دون اعملوا وهذا ما يدل على أن النظم القرآني يؤثر بعض الألفاظ على بعض.

وقد وضحت الآية موضوع الخطبة وهو التحذير من الدنيا وبينت عقاب الله على كل من دان إلى الدنيا وأخلد إليها والأسباب التي حكمت عليهم بالنار وبطلان وإحباط أعمالهم.

**فَبِئْسَتْ الْدَارٌ لِمَنْ أَقَامَ فِيْهَا فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون أَنكَمْ تَارِكُوْهَا لأَبَدْ ، فَإِنَّمَا هِيَّ كَمَا وَصَفَهَا الله بِاللَّعِبِ وَاللْهْوِ** وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون " (٣)

" فبئست الدار لمن أقام فيها " الجملة محققة لمعاني الجمل السابقة ، وجاء بصبغة الذم ، للتأكيد على المعنى المطلوب ، وفي الجملة إيجاز قصر حيث احتوت على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة ، لتشير إلى المعنى المطلوب ، وهي كناية عن تحقير الدنيا ، فالكناية قضية بدليلها ، أفادت تأكيد المعنى المراد مع الإيجاز.

" فاعلموا " الفاء عاطفة للترتيب على ما سبق ، وكأنه قيل لهم إذا علمت ما حدث للأقوام السابقة الذين كانوا أشد منكم قوة تنكر الدنيا ، لهم وخذلانها لهم،

---

(١) سورة الفيل آية ١
(٢) سورة الحج آية ٧٧
(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ، ١٢٩

فاعلموا أنكم تاركوها للأبد ، كما تجعل " الفاء " المتلقى يربط بين حال الأقوام السابقة وتركهم الدنيا ، وبين حاله وتركه للدنيا ، تنوع الأسلوب الإنشائي بقوله " فاعلموا " ليكون أعمق أثراً وأكثر دلالة على المعنى المطلوب ، وليضمن الخطيب التأثير والإقناع في مخاطبيه.

" **فاعلموا وأنتم تعلمون** " " اعلموا " جملة إنشائية ، فالخطيب جمع في الفقرة بين الأسلوب الخبري والإنشائي لإثارة الذهن وجذب الانتباه ويقظة الفكر ، وأيضاً لعقد مشاركة بينه وبين المخاطبين ، كما أن التنوع يجعل المتلقى متعلقاً بدلالات السياق ويتأمل في المراد منها.

وأسلوب الأمر هنا ليس على حقيقته لأنهم يعلمون أنهم تاركون الدنيا ، والمراد من الأمر هو المعنى البلاغي وهو الثبوت والدوام على العلم بحقيقة الدنيا.

" **وأنتم تعلمون** " جاءت الجملة الخبرية اسمية ، وعرف المسند إليه بضمير المخاطب ، لتحريك النفوس وهو من صور الإطناب ، لأنه يعتمد على سابقه ولا ينفصل عنه ، والجملة تذييل مقرر لمضمون الكلام السابق وتأكيده.

وفي الجملة " فاعلموا وأنتم تعلمون " رد للعجز على الصدر للدلالة والتقرير ، فالخطيب أضاف على كلامه نوعاً من الخلابة والسحر والموسيقى العذبة.

" **أنكم تاركوها للأبد** " صدرت الجملة الخبرية " أنَّ " للتأكيد على حقيقة فناء الدنيا للأبد ، فجاءت الجملة الخبرية مؤكدة بـ " أن " واسمية الجملة للإهتمام بالخبر ، عبر باسم الفاعل " تاركورها " لدلالة اسم الفاعل على الفعل وصاحبه كما أضاف "اسم الفاعل " دلالاته على الثبوت ، " للأبد " تأكيداً للترك ، إنما هي كما

وصفها الله " باللعب واللهو" قصر الحياة الدنيا على اللعب واللهو هذا القصر طريقة إنما،لتأكيد إثبات ما يقوله وهو أن الحياة الدنيا لعب ولهو

" **كما وصفها الله باللعب واللهو** " يخبر عن حقيقة الحياة الدنيا بكونها لعب ولهو، واستخدم الخطيب التصوير البياني " التشبيه " ليشبه الحياة الدنيا باللعب واللهو في عدم تحقيق النفع والفائدة وإضاعة الوقت ليظهر من ذلك تحقير وتقليل شأن الدنيا ، ليؤكد الحقيقة بأن الحياة ما هي إلا لعب ولهو ، رداً على المنشغلين بها والمعتقدين أنها دار خلود فجاء التشبيه المؤكد " وصفها الله باللعب واللهو " والتشبيه باعتبار تعدد الطرفين ؛ تشبيه جمع حيث أن المشبه واحد وهو الدنيا والمشبه به متعدد " لعب ولهو ".

والعطف بين " لعب ولهو " يفيد مع الجمع المغايرة لأن اللعب يشمل الأمر النافع ، وغيره واللهو الأمر الغير نافع ، يقول الشهاب على البيضاوي : [١] اللعب ما قصد به تعجيل المسرة والاسترواح ، واللهو كل ما يشغل من هوى وطرب ؛ واللهو: إذا أطلق فهو اجتلاب المسرة واللهو أعم من اللعب ، فكل لعب لهو فاستمتاع الملاهي لهو وليس لعب

وفي مفردات اللغة ، اللعب : الفعل الذي يريد به فاعله الهذل دون اجتناء فائدة ، يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً [٢] ، " واللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويعبر به عن كل ما به استمتاع ".[٣].

والمراد أن الإنسان ينصرف في الدنيا عن عمل يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة ، والخطيب بذلك يحثهم على الزهد في الدنيا والترغيب عنها.

---

(١) حاشية الشهاب علي البيضاوي ٤٩/٤ المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي ، تأليف علي أحمد بن محمد بن شهاب الدين ، ت ١٦٠٩ م ، طبعة دار صادر.

(٢) المفردات ص : ٦٥٠

(٣) المفردات ص : ٤٥٥

والخطيب اقتبس قوله " وصفها الله " باللعب واللهو " من قوله تعالى : " فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو " فبدأت الآية بأسلوب القصر ، وطريقه " إنما " فقصر الحياة الدنيا على كونها لعب ولهو ، وهذا القصر باعتبار الطرفين قصر موصوف على صفة وهو قصر إضافي وترى البلاغة في استخدام طريق القصر " إنما " حيث إنها لتأكيد الإثبات.

كما تشابك القصر مع التشبيه ليؤكد حقيقة الدنيا والتشبيه بطريق الجمع ، والآية الكريمة نكرت لفظ " لعب ولهو " والتنكير للشمول ؛ ليشمل كل لعب ولهو ما دام بعيداً عن الأفعال الصالحة التي يأخذ أجرها في الآخرة ، كما يفيد التنكير التقليل أي تقليل شأن كل لعب ولهو مهما كان صغيراً أو قليلاً فلا أجر له ، كما عطف " لهو " على " لعب " للتناسب بينهما فالمسند إليه واحد ثم يختم فقرته بقوله تعالى : " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (١)آيَةً تَعْبَثُون(٢) وتتخذون مصانع وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (٣) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون "(٤) ، وذلك ليؤكد صحة ما يقوله ولبث الحماس الديني في نفوس المتلقين حتى ينصاعوا لأمره

فذكرهم بالآية وهي قصة هود عندما " رأى من قومه تمحضاً للشغل بأمور دنياهم وإعراضهم عن الفكرة في الآخرة والعمل لها والنظر في العاقبة وإشراكاً مع الله في إلهيته وانصرافاً عن عبادة الله وحده الذي خلقهم وأعمرهم في الأرض وزادهم قوة على الأمم فانصرفت همامهم إلى التعاظم واللهو واللعب ، وكانت عاد قد بلغوا مبلغاً عظيم من البأس وعظم السلطان والتغلب على البلاد مما أثار قولهم من أشد منا قوة " فقد كانت قبائل العرب تصف الشيء العظيم في نوعه بأنه

---

(١) ريع : الريع كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، ومن مجاهد ريع : فج بين جبلين.
(٢) تعبثون : تلعبون عمل الإفادة تقع عليه
(٣) مصانع : قصور مشيدة وبنيان مخلد
(٤) سورة الشعراء آية ١٢٨ ، ١٢٩

العادي " وكانوا أهل رأي سديد ورجاحة أحلام ..... فطال عليهم الأمر وأقبلوا على الملذات واشتد الغرور بأنفسهم فأضاعوا الجانب الأهم للإنسان وهو جانب الدين وزكاء النفس وأهملوا أن يقصدوا من أعمالهم لحب الرئاسة والسمعة فعبدوا الأصنام واستخفوا بجانب الله تعالى واستجمعوا الناصحين وأرسل الله إليهم هوداً ففاتحهم بالتوبيخ على ما فتنوا بالإعجاب به ..... إذ ألهاهم التنافس فيه عن معرفة الله فنبذوا اتباع الشرائع وكذبوا الرسول " الكلام على سبيل الموعظة والتوبيخ وإنكار فعلهم ، أتبنون : استفهام للإنكار وهو متوجه إلى الإسراف في الإنفاق وكأنه يمنعهم من الموت

" وموقع جملة " أتبنون " بدل الإشتمال لجملة " ألا تتقون " فإن مضمونها يشتمل على عدم التقوى الذي تسلط عليه الإنكار وهو في معنى النفي " والريع " بكسر الراء الشرف أي المكان المرتفع كذا عن ابن عباس والطريق والفتح بين الجبلين كما قال مجاهد وقتادة ، والآية : العلامة الدالة على الطريق وتطلق الآية على المصنوع العجب لأنه يكون علامة على إتقان صانعة أو عظمة صاحبه [١].

" كل " مستعمل في الكثرة أي في الأرباع المشرفة على الطرق المسلوكة ، والعبث العمل الذي لا فائدة تقع فيه المصانع جمع مصنع وأصله مفعل مشتق من صنع فهو مصدر ميمى وصف به للمبالغة وقبل هو الخابية المحفورة في الأرض"[٢].

" وتتخذون مصانع " داخل في حيز الإنكار ، " وقيل إن المصانع قصور عظيمة اتخذوها فيكون الإنكار عليهم متوجهاً إلى الإسراف في الإنفاق على أبنية راسخة مكينة كأنها تمنعهم من الموت فيكون الكلام مسوقاً مساق الموعظة من التوغل في الترف والتعاظم ".

---

(١) التحرير والتنوير : سورة الشعراء ١٥٥

(٢) التحرير والتنوير سورة الشعراء ١٥٥

" لعلكم تخلدون " جملة مستأنفة أي تخلدون في الدنيا بسبب بناء الأبنية والمصانع.

" لعل " للترجي والجملة تهكم بهم بسبب ما بنوه من المرتفعات على الطرق للعبث واللهو والسخرية بالمارة.

فبعد أن ذكر الخطيب الآية القرآنية الكريمة نجده يقصد بها التعريض بأتباعه ليذم من انساق وراء الدنيا من الأقوام السابقة ، وكل من انساق وراء الدنيا ، وغفل عن الآخرة ، ورأى ما صار إليه الأقوام السابقة من فناء وحسرة ، فكيف لهم أن يتبعوا هذا الطريق ؟ ، ومن ثم كان التعريض بهم وسيلة ناجحة يستخدمها الخطيب في تقويم من اعّوج سلوكه وفيه حث للعقول المخاطبين على الموازنة بين من سبقهم وحالهم.

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

٦٥٠٦

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# المبحث العاشر

# حال المغتربين من الأقوام السابقة بعد الموت

" وَذَكَرَ الَذِّينَ قَالُوا مَنْ أَشَّدُ مِنَّا قُوَةَ ثُمَ قَالَ : حُمِلُوا إِلىَّ قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُكْبَاناً وَأُنزِلُوا فَلاَ يَدْعُونَ ضَيْفَاناً ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الضَرِّيحِ أَجْفَانَ وَمِنَ الْتُرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيْرَانٌ " ، يذكرهم الخطيب بحال من قالوا من أشد منا قوة.

"حُمِلُوا إِلىَّ قُبُورِهِمْ فَلَا يَدْعُونَ رُكْبَاناً وَأُنزِلُوا فَلاَ يَدْعُونَ ضَيْفَاناً"

يصف الخطيب حال الأقوام بعد فراق الدنيا حيث فرغ المكان من الرفاق وأقامت الوحشة.

عبر بالفعل الماضي " حملوا ، أنزلوا ، للدلالة على أن الحمل والإنزال قد حدث فعلاً ، والفعل الماضي يوحي بالفقد والضياع ، قدم الجار والمجرور " إلى قبورهم " للدلالة على العناية والإهتمام بهذا المكان ، فهي دارهم ومقرهم حتى البعث

" أنزلوا " للدلالة على أنهم نزلوا بواسطة غيرهم

" فيها " التعبير يوحي بشدة التمكن والإستقرار حيث جعل القبر ظرفاً لهم.

جاء النفي بحرف " لا " دون " لن " أو " لم " لأن " لا " ينفي بها المستقبل و " لم " لنفي الماضي نفياً قطعياً ، فحرف " لا " أشمل في النفي من حرف " لن " و " لم " فالنفي بـ " لا " فيه طول معنى النفي.

عطف جملة " وأنزلوا فيها " على ما قبلها ؛ للتوسط بين الكمالين ، فالجملتان خبريتان لفظاً ومعنى.

وترى الخطيب زين جملته بالسجع المرصع في قوله " فلا يدعون ركباناً " و " فلا يدعون ضيفاناً " وهو حقق الجمال في العبارة والموسيقية العذبة.

يقول الإمام عبد القاهر : " إنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساقك نحوه حتى لا تجده لا تبتغي به بدلاً

ولا تجد عنه حولاً".[١] ، وفي قوله : " يدعون ، يدعون " محسن بديعي وهو رد العجز على الصدر ، حيث أتى بلفظين مكررين متفقين معنى ، وهذا لتأكيد المعاني وتقريرها ؛ لأن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع ويتقرر ويرتبط آخر الكلام بأوله ، ودل أوله على آخره مما دل على جودة الكلام وتماسكه كما ترى بين الجملتين سجع مرصع.

" وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الضَرِّيحِ أَجْفَانَ "

اختيار الفعل " جعلوا " يدل على تحقيق وجود الفعل فوجودهم في الضريح محقق لا محالة.

" الضريح أجفان " شبه الضريح بالأجفان التي تطبق فلا يُرى ما فيها وذلك لدلالة أن يفارق الدنيا أصبح الضريح جفن له يشمله.

" وَمِنَ الْتُرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيْرَانٌ "

شبه التراب بالأكفان تشبيه مؤكد ؛ ليدل على أن من فارق الحياة لا يأخذ معه شيئاً ويرجع إلى التراب.

" الرُّفَاتِ جِيْرَانٌ " : كفاية عن تحلل أجساد من في القبور وهي تدل على الفناء التام ، وبهذه الجملة يصل الخطيب إلى مراده أنه لا بقاء في دنيا لأن الجميع مصيره الفناء التام ولذلك عليهم بالجهاد لأن هذا هو العمل الصالح الذي يأخذونه معهم من الدنيا

و"من" في قوله: "من الضريح"، "من التراب" ، "من الرفات" بيانية ، والجملة بيان وإيضاح للإبهام، فالإيضاح بعد الإبهام" يمكن المعنى في النفس؛ لأن

(١) أسرار البلاغة ١٥ تحقيق محمود شاكر.

المعنى إذا ألقى مجملاً تشوقت النفس إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فإذا جاء تمكن فيها خير تمكن ، وكان شعورها به أتم وأوفى"[١]

وفي قوله " الضريح – التراب ، الرفات " مراعاة نظير حيث جمع بين الأمور المتناسبة وهذه الأمور في القبر.

" فَهُمْ جِيَرةٌ لَا يَجِيْبُونَ دَاعِياً وَلَا يَمْنَعُون ضَيْمَاً ، إِنْ أُخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ أُقْحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا "

يقول الخطيب أين هم من قالوا من أشد منا قوة ؟ لقد تواروا في الضريح ، ولم يبق منهم شيئاً ، وهم جيرة في قبورهم توقفت مظاهر الحياة عندهم لا يجيبون الداعي ، ولا يمنعون الظلم ، إن وجد لهم خصب ونماء لم يفرحوا به ، وإن أصيبوا بقحط لم يحزنوا عليه ولم يُجزعوا ، توقف عندهم كل شيء عكس ما كانوا في الدنيا من حركة ، وحياة ، وملذات ، وشهوات كل هذا انتهى ولم يبق إلا عاقبته.

" هم جيرة " جملة خبرية من الضرب الإبتدائي لخلوه من التأكيد ؛ لأن المخاطبين لا ينكرون هذه الحقيقة ، ولا يترددون فيها فيخبرهم الخطيب عن حال الأقوام السابقة الذين قالوا من أشد منا قوة بعد مماتهم في قبورهم أنهم أصبحوا جيرة في القبور ، والمراد من الخبر الفائدة وفيه تحقير أمرهم فيصغرون في أعين المخاطبين ؛ لأنهم أقبلوا على الدنيا بكل ملذاتها وشهواتها ، ولم تغن عنهم شيئاً ولم يأخذوا منها خيراً.

عرف المسند إليه بضمير الغائب " هم " لإستمالة المتلقى وشحذ انتباهه للتفاعل مع الخطيب الذي يصور حال الأقوام الذين قالوا من أشد منا قوة بعد حياتهم.

---

(١) شروح التلخيص جـ ٣ : ٢٣٠

" **لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً** " إذا دعاهم داعي لا يجيبون ، وإذا استنجد بهم مظلوم لا يمنعون عنه الظلم

كان للنفي " لا " دوره في تأكيد الفناء والتام لإفادة نفي الحركة والحياة ، والجملتان كناية عن صفة الموت المحقق ، وغرضه تذكير مخاطبيه بالمصير المحتوم ، زين كلامه بالسجع المتوازي لما له من نغمة موسيقية تطرب لها الآذان تحمل على سماعه من غير ملل ولا فتور ؛ فيتقرر المعنى في النفس ويتأكد.

" **إِنْ أُخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ أُقْحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا** " فصل بين جملة : " إن أخصبوا لم يفرحوا " وبين جملة " لا يمنعون ضيماً " ، وصل بين جملة " إن أقحطوا لم يقنطوا " وما قبلها ؛ للتوسط بين الكمالين فالجملتان متفقتان في الخبرية لفظاً ومعنى ؛ لأن جملة الشرط خبرية باعتبار جوابها إن كان خبراً ، إنشائية إن كان جوابها إنشاء ، والجواب هنا خبر ؛ ولذلك فهي خبرية فاستخدم الجملة الشرطية والتقييد بالشرط يختلف دلالة وبنية باختلاف أداته.

فقيد الخطيب الشرط بـ " إن " لإفادة الندرة والقلة في وقوع الحدث أو الشك فيه ، فالتعبير بـ " إن " يفيد الشك وعدم تحقق الأمر وهذا بخلاف لو إستخدم " إذا " لأنها تفيد تحقق الوقوع.

والفعل " أخصبوا ، أقحطوا " ماضي والأصل في " إن " الشرطية أن يليها الفعل المضارع كقوله تعالى " فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه [١] الفعل المضارع لإفادة الندرة في وقوع الحدث

والأصل في " إذا " أن يليها الفعل الماضي لتحقق الوقوع و " إن " وليها الفعل المضارع لإفادة الندرة في وقوع الحدث ، فهذا الأصل ، ولكن قد يقتضي

---

(١) سورة

المقام أو السياق استعمل كل من الأفعال موضع الآخر لغرض بلاغي ، فهنا ولي " إن " فعل ماضي ليفيد أن إن تحقق الإخصاب على سبيل الندرة لم يتجدد الفـــرح ، وإن تحقق القحط على سبيل القلة لم يتجدد القنوط والجزع ، فأســـاليب الشـــرط نهضت بأداء وظيفتها.

" لم يفرحوا ، لم يقنطوا " ينفي " بلم " التي تفيد نفي الماضي نفياً قطعيـــاً فهذا لم يحدث أبداً ، وترى المحسن البديعي المقابلة بـــين " إن أخصـــبوا ، لـــم يفرحوا " وبين " إن أقحطوا لم يقنطوا " وكذلك السجع المتوازي بـــين الجملتـــين منح الجملتين جرساً موسيقياً تصغى له الآذان.

" جَمِيْعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيْرَةٌ وَهَمْ أَبْعَادٌ ، مُتَنَاؤن لَا يَزُورُونَ وَلَا يُزَارُون "

يواصل الخطيب تصوير حال الأقوام السابقة في قبورهم بعد مماتهم واصفاً لهم بأنهم جميع إلا أنهم منفردين وهم جيرة في القبور إلا أنهم أبعاد عن بعض لا يقع بينهم التزاور.

فيصورهم في القبور بأنهم " جميع " مستخدماً صيغة المبالغة " جميع " مع التنكير للمبالغة في كثرة عددهم ، فهي كثرة لا تحد بحدود ، فأعدادهم كثيرة وهذا يشير إلى كثرة هؤلاء القوم الذين لا يعلم عددهم إلا الله – سبحانه تعالى

والوا في قوله : " وهم أحاد " حالية وفيها معنى المغايرة وهي مســـتقلة ، فجملة الحال اسمية ، لتؤكد معنى الثبوت والدوام فهم ما بقوا في قبورهم أُحـــاد منفردين بالرُّغم من كثرتهم جيرة في قبورهم ؛ ولذلك جاءت جملة الحال مربوطة لزيادة الإرتباط بين الحال وصاحبها ، فوصفهم الجميع لا يقابل أنهـــم مجتمعـــين وإنما يقابله أنهم منفردين ، فالخطيب أراد أن يخبر – بخبرين الأول : أنهم جميع، الثاني : أنهم أحاد ، وبهذا يؤكد الخطيب جملة الحال ويفيد لصوقها بصاحبه.

" **وجيرة وهم أبعاد** " عطف الجملة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين فالجملتان خبرية لفظاً ومعنى .

ترى الطباق بين " جميع ، وأحاد ، وجيرة ، وأبعاد " قد خلع على الصورة الوضوح وتأكيد المعنى ، وكذلك الإبانة عن المفارقة التي عرضها الخطيب لحال الأقوام السابقة في القبور ، فـ " الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام ، إذا الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده كما يقولون "(١)

" **مُتَنَاوِن لَاَ يَزُورُونَ وَلَاَ يُزَارُون** " يواصل الخطيب صفاتهم بإنهم متباعدون لا يقع بينهم التزاور ، نفي الزيادُة والتزاور والوصل بينهم على أنهم " جيرة " ليؤكد على تماما القطعية بينهم فالقطعية تمتد بامتداد بقائهم في القبور ، وصل بين الجملتين " لَاَ يَزُورُونَ وَلَاَ يُزَارُون " للتوسط بين الكمالين فالجملتان خبريتين لفظاً ومعنى.

وإذا نظرنا إلى البناء الصوتي في هذه الفقرة وما قبلها ، نجد أن الخطيب اعتمد على حروف المد ؛ لأنها تكسب الصوت انطلاقاً ولا شك أن الممدود وسيلة من وسائل تصوير المشهد وخصوصاً حرف المد الألف ، تدل بامتداد صوتها على رغبة الخطيب في الصياح ألماً بما سيلحق أتباعه حتى يبلغ صوته جميع المخاطبين.

وهذا يدل على الحال النفسية للخطيب ، وإظهاره مدى خوفه عليهم ، فخير الموسيقى وأفضلها ما تظهر مع حالات النفس.

---

(١) الصبغ البديعي في اللغة العربية ٤٨١ ، أ.د/ أحمد موسى ، دار الكتاب العربي ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م.

والمقطع كله عبارة عن صورة الفناء والصمت الموحش بتوقف الحياة الحركة والحيوية في القبور ، وهذه الصور الموجودة دلت على نقيضها المحذوف من مظاهر الحركة والحيوية في الحياة الدنيا ، فالخطيب من خلال انتقاء الألفاظ المعبرة عن حالتين حرك عقل المتلقى للوقوف على حقيقة أمر الدنيا فلا يأخذ من ملذاتها وشهواتها إلا الحسرة والندم على ما فعله فيها من الأنغماس فيها والتكالب عليها.

" **حُلَمَاءٌ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ وَجُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يَخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ** ، وكَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى : " لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين " (١)

يستمر الخطيب في وصف حال الأقوام السابقة الذين قالوا من أشد منا قوة في قبورهم بعد موتهم وقد خيم الصمت الموحش عليهم بعد أن ملئت حياتهم بالحركة والحيوية والملذات والشهوات وبعد أن تكالبوا على الدنيا ولم يأخذوا منها بشيء فهم حلماء قد ذهب عنهم الأضغان الكره والأحقاد لا يخشى فجيعتهم ولا ينتظر منهم دفع مكروه.

حذف المسند إليه في قوله " حُلَمَاءٌ " والتقدير " هم حلماء " لجذب انتباه السامع إلى وصفهم ولضيق المقام عن الإطالة في الكلام ، وللمبادرة إلى المطلوب مع الإحتراز عن العبث ، فهو يعمل على تحريك فكر المخاطب ليريك من العبارة ما حذف منها.

وكذلك قوله : " جُهَلاَءُ " حذف المسند إليه والتقدير هم جهلاء ، فأيضاً حذف المسند إليه للمبادرة إلى المطلوب ، ورغبة من الخطيب في تمييز هؤلاء الأقوام بهذه الصفات ، وقد أشاد الإمام عبد القاهر بالحذف فقال : " هو باب دقيق

---

(١) سورة القصص الآية ٥٨

المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، فالخطيب اعتمد في الصورتين على الأسلوب الخبري ، فهي من قبيل الواقع المسلم به ، وظف الفعل الماضي المقرون بقد في " قد ذهبت ، قد ماتت " للدلالة على تحقيق ذهاب الضغائن والأحقاد ، عطف جملة " وجهلاء قد ماتت أحقادهم " على ما قبلها " حلماء قد ذهبت أضغانهم " للتوسط بين الكمالين فالجملتان خبريتان لفظاً ومعنى.

ومن خلال التصوير البياني وعن طريق الإستعارة المكنية يجسد الخطيب الأمور المعنوية " الضغائن ، والأحقاد " ويبث فيهما الحركة والحياة بل يمنحهما الحياة الإنسانية ، بأن صور الضغائن بإنسان ذهب إلى طريق ولم يعد منه ، والأحقاد بإنسان قد زهقت روحه ، حذف المشبه به في كل منهما ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وفي إسناد " ذهبت " إلى الصغائن ، وكذلك في إسناد " ماتت " إلى " الأحقاد " استعارة تخيلية وهي قرينة المكنية.

ولا شك أن هذه الصورة أوقع في نفس المخاطب وأوسع في الإيحاء ، دلت على سعة خيال الخطيب ، أكسبها الحركة من خلال انتقاء الألفاظ المعبرة ، وقدرته على تطويع اللغة لكل ما يريد فهي تتحرك وتنقل إلى المتلقى تخييل رائع، فجاءت صورته نابضة بالحركة تتحرك معها عقل وفكر المتلقى ؛ للوقوف على الحقيقة ، ونابضة بالحياة كأنها أشخاص ماثلة أمامنا ، إما شخص ذهب ولم يعد، أو شخص قد مات ، فجاءت الصورتين بديعتين ؛ لأنه صور المعنى بصورة محسوسة مألوفة لتأكيد الأمر وتقريره ، يقول الإمام عبد القاهر في فضل الإستعارة المكنية : " إنك ترى الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جلية ".[١]

(١) أسرار البلاغة صـ ٤١

مجيء " أضغانهم ، أحقادهم " جمعاً لكثرة الضغائن والأحقاد التي كانت بينهم في الدنيا ، وأضيف ضمير جمع الغائبين المتصل " هم " إلى أضغانهم وأحقادهم ليقرع الآذان وينبه الأذهان.

" **لَا يَخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ** " [١] جاء النفي بحرف " لا " دون " لن " ، و " لم " ؛ لأن " لا " لنفي المستقبل والحال بينما " لن " تأتي لنفي المستقبل ، أما " لم " لنفي الماضي نفياً قطعياً ، فحرف " لا " أشمل في النفي من حرف " لن " و " لم " وفهم هذا المعنى من اللفظ نفسه لأن النفي بـ " لا " يفيد دوام النفي ، فالألف أتى بعدها ؛ يمتد بها الصوت ، فامتداد لفظها بامتداد معناها ، فالنفي بـ " لا " الداخلة على الفعل المضارع يوحي بأنه لا يخاف عليهم من الفجيعة ، ولا يرجى منهم دفع للمكروه لا في زمن الحال ولا في زمن الإستقبال لفنائهم وانقراضهم.

عطف جملة " لا يرجى دفعهم " على ما قبلها ، للتوسط بين الكمالين فالجملتان خبريتان لفظاً ومعنى

في التعبير بالفعل المضارع " يخشى " ، " يرجى " استحضار صورة مشاهدة الأقوام السابقة وجعلها ماثلة أمامهم يشاهدونها بأعينهم سواء أكانوا في عالم الدنيا عندما قالوا من أشد منا قوة أم في عالم الأخرة عندما لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم.

وترى بين جملتي" لا يخشى فجعهم " و " لا يرجى دفعهم " محسن معنوي لفظي : وهو السجع المرصع وهو ما اتفقت فيه ألفاظ القرنتين أو أكثر ألفاظها في الوزن والقافية ، وسمي مرصعاً تشبيها له بترصيع اللؤلؤ في العقد بوضع كل

---

(١) " فجعهم " الفجيعة : الرزية الموجعة ، فجعه يُفْجعه فجعاً فهو موجوع وفجيع والفواجع المصائب المؤلمة التي تفجع الإنسان بما يعز عليه من مال أو حميم الواحدة فاجعة ، " دفعهم " الدفع : الإزالة بقوة.

لؤلؤة في أحد جانبي العقد على نسق نظيرتها في الجانب الآخر من العقد ، وهو أكسب الكلام حسناً وبهاءً لماله من نغمة موسيقية تؤثر على النفوس وتجعلها تميل على سماعه من غير ملل ولا فتور مع تأكيد المعنى في النفس وتمكينه ، أضيف ضمير جمع الغائبين إلى " فجعتهم " ، " دفعهم " ليقرع الآذان وينبه الأذهان.

" وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين "(١)

عطف جملة " كم أهلكنا من قرية " على ما قبلها " أو لم نمكن لهم حرماً آمناً " باعتبار ما تضمننه من الإنكار والتوبيخ ، فإن ذلك يقتضي التعرض للإنتقام شأن الأمم التي كفرت بنعم الله " (٢) والإستفهام في قوله " أو لم نمكن لهم حرماً أمناً " المقصود به الإنكار والتوبيخ وهو " يقتضي التعرض للإنتقام شأن الأمم التي كفرت بنعم الله فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والزرق فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر " (٣)

" وانتصاب معيشتها بعد بطرت على تضمنين بطرت معنى كفرت لأن البطر وهو التكبر يستلزم عدم الإعتراض بما يسدى إليه من الخير والمراد بطرت حالة معيشتها أي نعمة عيشها"(٤)

الإشارة بـ " تلك " إلى مساكنهم عرف المسند إليه " تلك " بالإشارة للدلالة على تحقير المشار إليه ؛ لأنها شغلتهم عن الآخرة بواسطة الإشارة إليه حساً كأنه حاضر في الذهن يدرك ويحس ، واستخدام أداة الإشارة للبعيد تنزيلاً لبعد

(١) سورة القصص الآية ٥٨
(٢) التحرير والتنوير ١٥٠
(٣) التحرير والتنوير ١٥٠
(٤) التحرير والتنوير ١٥٠

المكانة ، " لم يسكن من بعدهم " خبر للإشارة إلى بعد منزلة لهم بعد المكان ، واسم الإشارة يحقق الترابط اللفظي بين أجزاء الكلام ، ويكون ذلك من خلال دلالات واضحة بينة والتقدير فمساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً.

فهي كناية عن فنائهم ، ومعنى " لم تسكن من بعدهم " لم يتركوا فيها خلفاً لهم وذلك كناية عن انقراضهم عن ذكرة أبيهم.

" إلا قليلاُ " احتراس أي المعتبرين بهلاك أهلها أي إلا إقامة المارين بها ، " لم تسكن إلا قليلاً " كان أسلوب القصر عن طريق النفي والإستثناء أي لم يسكن إلا المارين المعتبرين بهلاك أهلها فوقع من المخاطبين " قريش " إنكار على هذا فكان القصر لتأكيد وتقرير وقوع سكن المارين ، وانتصب " قليلاً " على الإستثناء من عموم أزمان محذوفة والتقدير : إلا أزماناً قليلاً أو على الإستثناء من مصدر محذوف والتقدير : لم تسكن سكناً إلا سكناً قليلاً ، والسكن القليل : هو مطلق الحلول بغير نية إطالة فهي أيام لا سكنى فإطلاق السكنى على ذلك مشاكلة ليأتي الإستثناء.(١)

" هذه الآية يظهر تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم حين مر في طريقه إلى تبوك بحجر ثمود فقال : " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبك مثل ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين " أي خائفين أي اقتصار على ضرورة المرور لئلا يتعرضوا إلى تحقيق حقيقة السكني التي قدر الله انتفاءها بعد قومها فربما قدر إهلاك من يسكنها تحقيقاً لقدره".(٢)

(١) التحرير والتنوير ١٥٠
(٢) التحرير والتنوير ١٥٠

وللتأكيد على فنائهم جاء قول : " وكنا نحن الوارثين " عطف على لم تسكن من بعدهم وهو يفيد أنها لم تسكن من بعدهم فلا يحل فيها قوم آخرون بعدهم وفيها تفكر فيما حدث لتلك الأمم السابقة.

" نحن الوارثين " لا غيرنا قصر إرث تلك المساكن على الله تعالى حقيقي تحقيقي أي لا يرثها غيرنا وهو كناية عن حرمان تلك المساكن من الساكن ، " وتلك الكناية رمز إلى شدة غضب الله تعالى على أهلها الأولين بحيث تجاوز غضبه الساكنين إلى نفس المساكن فعاقبها بالحرمان من بهجة الساكنين ".[١] وبذلك ربط ختام ألآية بمضمونها ليجعل المتلقى في اتصال مع بناء التركيب.

" **اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنَاً وَبِالسِّعَةِ ضِيْقَاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُورِ ظُلْمَةً ، فَجَاؤُهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى ، غَيْر أَنْهُمْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدائمة وَإِلَى خُلُود اَلْأَبَدِ** ، يَقُولُ الله تَعَالَى : " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين " [٢]

يمضي الخطيب في تصوير حال هؤلاء القوم الذين قالوا من أشد منا قوة بعد مماتهم ، بأنهم قد اختاروا للأنفسهم ما هم فيه فبسلوكهم السلوك الذي سلكوه في الدنيا ، في أنهم كان يقدمون شهواتهم على كل شيء واختيارهم لها على اختيار الدار الأخرة ، لذلك اختاروا العقاب والضيق والعزبة والظلمة بسبب عصيانهم وتجاوزهم حدود الله سبحانه وتعالى التي أمر الله بها.

" اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنَاً " والباء بعد " استبدلوا " تدل على المتروك والإستبدال هو ترك شيء لآخر غيره ، أي استبدلوا الذي هو شر بالذي هو خير منه ، وهذا توبيخ لحالهم ففساد النفس يترتب عليه فساد الذوق ، فنفوسهم فاسدة

---

(١) التحرير والتنوير والقصص ١٥٢

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤

، ولذلك كان اختيارهم فاسداً أيضاً ولفظ استبدلوا مقتبس من قوله تعالى : " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ "(١) فالألفاظ المقتبسة تزيد الكلام ضياءً وجمالا ، " وبالسعة ضيقاً " عطف الجملة على ما قبلها للتناسب بينهما فالمسند واحد

" بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْنَاً وَبِالسِّعَةِ ضِيْقَاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُورِ ظُلْمَةً " وضح سوء اختيارهم الخاطيء بتركهم كل ما هو فيه خير وٌبالهم على كل شر بركونهم إلى الدنيا ، والخطيب يحاول جاهداً أن يذكر أتباعه عما غفل عنه هؤلاء الأقوام ، لعلهم يفيقوا من غفلتهم ويصلوا إلى الطريق الصواب قبل الموت ؛ وليحثهم على الجهاد حتى لو فقدوا فيه الحياة فهي فانية

وتتوالى الطباقات بين " ظهراً " وبين " بطناً " وأيضاً بين " السعة " وبين " ضيقاً " وكذلك بين " بالأهل " وبين " غربة " وأخيراً بين " النور " وبين " ظلمة " ، فالطباقات لزيادة المعنى وضوحاً والصورة جمالاً أو قوة فهو جعل بعداً جمالياً ظهر عن طريق الموازنة اللطيفة التي بينت سلوكهم في الدنيا باختيارهم الأسوأ وتركهم الأفضل ، فالطباق لا لمجرد الحلية والتزين فحسب بل كان له الأثر في إظهار التناقض.

" فَجَاُؤهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى " فصل الجملة عما قبلها ؛ لشبه كمال الإتصال ، ويطلق عليه الإستئناف البياني أي استئناف جواب وليس ابتداء كلام منقطع عن سابقه وهو مبنى على سؤال مقدر كأنه قيل : ماذا كانت عاقبة هؤلاء الأقوام الذين استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنور ظلمة ؟ فكان الجواب : " فارقوها كما جاءوها " ، فترك بينهما بترك الفاصل حيث لا يعطف الجواب على السؤال لشدة الإتصال بينهما ، ويرى

(١) سورة البقرة آية ٦١

الزمخشري أن الفصل فيه ..... هو وصل تقديري ، وأنه أقوى من الوصل الظاهر بحروف العطف [١] .

وبلاغة الأسلوب تكمن في الإيجاز بتكثير المعنى وتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال ، وترك العاطف والقصد من الجملة أيضاً التهديد ؛ لتكون رادعاً لهم لعلهم يتفكرون في حالهم ويخافون فيتغير حالهم.

" فارقوها – جاءوها " عبر بضمير الغائب أي فارقوا الدنيا كما جاءوا الدنيا ، للتحقير وليتناسب بعلاقتهم بها فهم غياب عن أخذ الأعمال الصالحة منها وفي غياب عن التفكير في عاقبتهم. ، فصل بين جملة " حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى " وبين جملة " فَجَاؤُهَا كَمَا فَارَقُوهَا " لكمال الإتصال حيث أن جملة حفاة عراة فرادى بياناً لحفاء الجملة الأولى ففصل بينهما لشدة التلاحم والترابط فلا حاجة للوصل الخارجي بأداة العطف ، واقتبس جملة "فارقوها كما جاءوها حفاة عراة فرادى" من قوله تعالى: " ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة "[٢]

استطاع الخطيب أن يبني كلامه على التلاجم والترابط فالألفاظ المقتبسة تظهر وسط الكلام كبدر التمام ، فتزيد الكلام قوة وبلاغة.

" ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلىَّ الْحَيَاةِ الدَائِمَةِ وَإِلىَّ خُلُود اَلْأَبَدِ " فهم خرجوا من الدنيا كما دخلوها لم يأخذوا معهم أي شيء من زينتها وشهواتها إلا أنهم قد أخذوا العقاب والعذاب إلى الأبد ، " الخلود " دلت على بقائهم في الحياة الآخرة وخلودهم فيها بعكس الحياة الدنيا الفانية الزائلة.

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ص ١٠ ، أ.د/ محمد أبو موسى ، طبعة دار الثقافة ، ط الثانية ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م.

(٢) سورة الأنعام آية ٩٤

" يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين " (١)، جملة مستأنفة قصد منها إعادة ذكر البعث والاستدلال على وقوعه وإمكانه

" بدأنا " والبدء الذي لم يسبق مماثله بالنسبة إلى فاعل أو إلى زمان أو نحو ذلك وبدء الخلق كونه لم يكن قبل أي كما جعلنا خلقاً مبدوءاً غير مسبوق في نوعه.(٢) ، " بخلق " مصدر بمعنى المفعول أي مخلوق وقدم " كما بدأنا أول خلق نعيده " وهو حال من الضمير المنصوب في نعيده للتعجيل بإيراد الدليل قبل الدعوى لتتمكن في النفس فضل يمكن القدرة عليها وكل ذلك وجوه الاهتمام بتحقيق وقوع البعث فليس قوله يوم نطوى متعلقاً بما قبله من قوله تعالى وتتلاقهم الملائكة وعقب ذلك بما يفيد تحقيق حصل البعث من كونه وعداً على الله لتضمين الوعد معنى الإيجاب (٣)، ومعنى إعادة الخلق إعادة مماثلة في صورته فإن الخلق أي المخلوق اعتبار أنه فرد من جنس إذا أضمحل ثقيلاً فإنها يعاد مثله لأن الأجناس لا تحقق لها في الخارج إلا في ضمن أفرادا كما قال تعالى : " سنعيدها سيرتها الأولى " أي مثل سيرتها في جنسها ".(٤)

" وعداً " أي حقاً مفعول مطلق لـ " نعيده " لأن الإخبار بالإعادة في معنى الوعد فانتصب على بيان النوع للإعادة ويجوز كونه مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون جملة " كما بدأنا " أول خلق نعيده.

و " للأبد " أضاف كلمة للأبد إلى الخلود وذلك لتقوية المعنى وتأكيده وتقريره في ذهن المخاطبين.

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٤
(٢) التحرير والتنوير ١٦٠
(٣) التحرير والتنوير سورة الأنبياء ص ١٥٨
(٤) التحرير والتنوير صـ ١٦٠

" علينا " فعد بحرف " على " في قوله تعالى : " وعداً علينا " أي حقاً واجباً.

" إنا كنا فاعلين " أي إنا كنا قادرين على إعادة الأجسام مرة أخرى ، مؤكد بحرف التوكيد لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر قدرة الله لأنهم لما نفى البعث بعلة تعذر إعادة الأجسام بعد فنائها فقد لزمهم إحالتهم ذلك في جانب قدرة الله [١].

إعادة الأجسام بعد فنائها خبر من الضرب الإنكاري فخرج الخبر عن مقتضى الظاهر ، فالمخاطبون لا ينكرون قدرة الله على إعادة الأجسام ولكن لما كانوا يتمادون في الغفلة عن الأخرة مقبلين على الدنيا بكل شهواتها معرضين عن العمل لما بعد الموت نزلوا منزلة المنكرين ، وأكدلهم الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .

" فاعلين " أي قادرين على ذلك لأنه وعد به عبر باسم الفاعل " فاعلين " لإرادة الثبوت والدوام . وفي ذكر فعل الكون " كنا " إفادة أن قدرته قد تحققت بما دل عليه دليل قوله : " كما بدأنا أول خلق نعيده "[٢] والتشبيه أن إعادة خلق الأجسام شبهت بإبتداء خلقه ووجه الشبه إمكان كليهما والقدرة عليهما.

---

(١) التحرير والتنوير صـ ١٥٨

(٢) التحرير والتنوير صـ ١٥٩

# المبحث الحادي عشر

# ختام الخطبة

" فَاحْذَرُواَ ما حَذَّرَكُمْ اللهُ وَانْتَفَعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِه وَرَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ "

كما بدأ الخطيب بالتحذير بقوله " إني أحذركم الدنيا " اختتمها أيضاً بالتحذير من الدنيا ، فالخطبة هدفها واحد من بدايتها إلى نهايتها ، وهو التحذير من الدنيا والخطيب ختم خطبته بحسن الإنتهاء ، وهو ما يطلق عليه وهو " آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس فإن كان مختاراً جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير، وإن كان غير مختار كان بخلاف ذلك "[١] لأنه يظل في الأذهان وفي العقول، يدور على الألسنة بكل سهولة ويسر فحسن الإنتهاء هو آخر ما يعيه السامع

يقول " العلوي " في " الطراز " : " الخاتمة في كل شيء هي العمدة في محاسنة والغاية في كماله".[٢] ويقول ابن أبي الأصبع : " يجب على المتكلم شاعراً كان أو ناثراً أن يختم كلامه بأحسن خاتمه ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع لأنها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها وحلاوتها وجزالتها "[٣]

" احذروا ، انتفعوا ، و اعتصموا " خرج الأمر من معناه الحقيقي وهو طلب الفعل على جهة الإستعلاء إلى معنى مجازي آخر وهو النصح والإرشاد والوعظ والتنبيه وهو لا يخلو من معنى التهديد والوعيد.

---

(١) شروح التلخيص ٥٤٣/٤

(٢) الطراز ج (٣) صـ ١١٨٣ ، يحيى بن حمزة العلوي ، در الكتب العلمية ، بيروت.

(٣) بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري صـ ٣٤٣ ، تحقيق فتحي محمد شرف ، الطبعة الثانية ، طبعة دار نهضة مصر.

عبر بالموصولية بـ " ما " في قوله " ما حذركم الله " لقصد العموم والشمول والتفخيم ولتذهب النفس كل مذهب من تخيل تلك النواهي التي نهى عنه.

وفي قوله " احذروا حذركم " : محسن بديعي وهو رد العجز على الصدر كان له نغمة موسيقية تصغى لها الأذن ويعمل على تأكيد المعنى وتقريره ، وفي " احذروا ، حذركم " ، " حذركم الله " عرف المسند إليه " الله " باسمه الجامع لكل صفات الجلال والجمال والإكرام ، وفيه دلالة على وقوع التحذير وتحقيقه لا محالة، وهذا دليل على قدرته عز وجل ، فهو قد حذر من ارتكاب المعاصي والفواحش ومن كل ما نهى عنه ليكون ذلك أشد تأثيراً في نفوس المخاطبين ورافقاً لهم لامتثال أوامر الله

" وانتفعوا بمواعظة " عطف الجملة على ما قبلها للتوسط بين الكمالين فالجملتان متفقتان في الإنشائية لفظاً ومعنى ، وتعتبر الجملة من " إيجاز القصر " الذي عبر به المعنى الكثير باللفظ القليل ؛ ليشمل بذلك صوراً كثيرة للإنتفاع بالمواعظ التي تقرب العباد من الله – عز وجل – وتوضح لهم حقيقة لطفة بهم ورحمته في أن بين ووضح لهم المواعظ حتى يمتثلوا ويعتبروا قبل فوات الأوان.

" اعتصموا بحبله " أي بحبل الله والمقصود بالحبل عهد الله من امتثال الأوامر واجتناب النواهي وفسرت هذه الإستعارة بقوله تعالى : " والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاق " [١]

شبه العهد بالحبل ، حذف المشبه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " النقص " على سبيل الإستعارة المكنية ، وإثبات النقض إلى العهد استعارة

(١) البقرة آية ٢٧

تخييلية ، وهي قرينة المكنية ، والإستعارة لم تقترن بما يلائم المشبه أو المشبه به فهي استعارة من حيث الملائم مطلقة.

وفي قول الخطيب " اعتصموا بحبله " استعار الحبل لعهد الله استعارة تصريحية أصلية وضحت أن عهد الله وأوامره ونواهيه حبل يجب الإعتصام به.

جاء تصوير المعنى عن طريق الإستعارة حيث شبه عهد الله بالحبل بجامع الوصول إلى النجاة ، ثم استعير الحبل لعهد الله على سبيل الإستعارة التصريحية الأصلية ، وبلاغتها بيان أن الإلتزام بعهد الله فيه رضا الله – عز وجل – فالحبل يمسك من يغرق فيصل إلى النجاة وكذلك عهود الله وتعاليمة من التزم بها توصله إلى رضا الله والفوز بسعادة الدارين.

والجملة " وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ " مقتبسة من قوله تعالى : " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا " [١] فالجمل المقتبسة تظهر وسط الجمل كالبدر عند تمامه ، والجملة من إيجاز القصر حيث عبر به عن المعنى الكثير باللفظ اليسير ؛ ليشمل بذلك صوراً كثيراً من الإلتزام بالأوامر واجتناب النواهي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالإعتصام بعهد الله جامع لكل ما هو مطلوب ، وفعل كل ما يقرب العباد لله للفوز برضاه بسعادة الدارين.

" بحبله ، ومواعظه " أي بعهده ومواعظه ، وأفادت الباء الملاصقة ليشير إلى بيان أهمية الخبر ، أضيف لفظ الحبل ، والمواعظ ، إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة الله – عز وجل – وهو اسم جامع لكل صفات الجلال والجمال ، وهو العلم الذي لا يطلق على غيره ولا يشركه فيه غيره ، والغرض من الإضافة تعظيم المضاف وهو العهد والمواعظ وبيان أنهما دين الله الذي يجب الاستمساك به.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣

" **عَصَمَنا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِه وَرَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ** " ترى أن الكلام هنا ختم ختاماً حسناً مصحوباً بالإنتهاء فسمي هذا براعة المقطع ، فقد ختم كلامه بالدعاء الذي يفيد انتهاء الكلام فلا يبقى للنفس بعده كلام ، فيه يعلم المخاطب انقضاء الكلام فالخطيب جمع في نهاية خطبته " احذروا ما حذركم الله ..... عصمنا الله وإياكم ..... " بين حسن الإنتهاء وبراعة المقطع على وجه لطيف.

عطف جملة " وَرَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ " على ما قبلها ، " عصمنا الله " للتوسط بين بين الكمالين فالجملتان متفقتان في الخبرية لفظاً وفي الإنشائية معنى.

" عصمنا الله " ذكر المسند إليه ، " عصمنا وإياكم " الضمير في عصمنا إما للتعظيم أي يعظم الخطيب نفسه ثم يدعوا لهم بالعصمة أو الضمير في عصمنا للجمع له وللمخاطبين ثم يعطف " وإياكم " فيكون ذكرهم مرة أخرى فهو من عطف الخاص على العام ليؤكد خوفه على أتباعه وحرصه على الدعاء لهم بطاعته " الباء " للملاصقة.

" عصمنا الله ، ورزقنا " وهذا في مقام الدعاء بدلاً من قوله : " اللهم اعصمنا أو اللهم ارزقنا " على سبيل الإنشاء الطلبي فعبر بالخبر في موضع الإنشاء ، وهذا من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فأتى بجملة خبرية في لفظها إنشائية في معناها ، معبراً عنه بالفعل الماضي الذي يفيد تحقق وقوع العصمة والرزق فهو دعاء بالخبر ، يقول أ.د/ أبو موسى " فالرغبة هنا أكثر إلحاحاً وأشد تعلقاً بالنفس وكأنها لقوة إحاطتها بالقلب أوهمت أنها وقعت"[١]، وفيه سعة دون التقييد بزمن وهو معبراً عن الأزمنة الثلاثة ، التعبير بالفعل الماضي والحال والإستقبال ، الماضي كأن استجابة الدعاء واقعة وكان العصمة والرزق من الله وقع فعلاً ، وهذا لغرض التفاؤل والحرص في وقوعه.

---

(١) دلالات التراكيب صـ ٢٦٦ د/ أبو موسى.

يقول الخطيب القزويني " يخرج الخبر إلى الدعاء لأغراض إما للتفـــاؤل أو لإظهار الحرص في وقوعه " [١] .... " مثل رحمك الله وغفر ذنبـــك ، لا أراك الله مكروها – لا سمعت شراً "[٢] ، أما الحال والإستقبال في أن استجابة الدعاء سقع حتماً سواء في حال الدعاء فيستجيب الله – سبحانه وتعالى – دعائه في الحال أو ستقع الإجابة في المستقبل.

" ورزقنا وإياكم " حذف المسند إليه " الله " والتقدير ورزقنـــا الله لأن هـــذا الفعل مختص بالله – عز وجل ، تكرار " إياكم " لقصد الإعتناء بسامعيه ليشـــملهم الدعاء وليبين مدى حرصه وخوفه عليهم.

(١) الإيضاح ١ : ٢٤٥

(٢) شروح التلخيص ٢ : ١٣٨

# المبحث الثاني عشر

# تعقيب على الخطبة

١-**المحور الأول** : من حيث فكرتها وهدفها

٢-**المحور الثاني** : من حيث العاطفة وأثرها على التعبير

٣-**المحور الثالث** : من حيث الأساليب البلاغية

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

# المحور الأول : من حيث فكرتها وهدفها

## الفكرة العامة للخطبة

هي فكرة التحذير من الدنيا ، تفنن الخطيب في أسلوب عرض الخطبة ، وتنوعت الأساليب لجذب المتلقى ، والفكرة العامة للخطبة هي فكرة التحذير من الدنيا.

١- تميزت الخطبة بأنها محكمة الأداء محكمة الأداء ذات موضوع واحد وهو ذم الدنيا وافتتح الخطبة بالتحذير ، وفيه براعه استهلال بقوله : " إِنْي أُحَذْرِكُمْ الْدُنْيَا " ، وختمها بالتحذير وفيه حسن انتهاء وبراعة المقطع " فَاحْذَرُواَ ما حَذَّرَكُمْ الله وَانْتَفَعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنا الله وَإِيَّاكُمْ بِطَاعْتِه وَرَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ ".

٢- تقوم الخطبة على ثلاث أفكار رئيسية :

الأولى : حمد الله وأثنى عليه.

الثاني : الدخول في صلب الخطبة وهو التحذير من الدنيا بلا مقدمات وقد سيطرت هذه الفكرة على الخطيب من أول الخطبة إلى آخرها ووجد في قضية التحذير من الدنيا فرصة ليرشد الناس ويوجههم وينصحهم.

الثالث : أنهى الخطبة بالنصح والإرشاد والدعاء لإتباعه.

## هدف الخطبة :

هدف الخطيب من الخطبة أن يتعظ أتباعه ، والمتلقى قبل الموت فيزهدوا في الدنيا ويقبلوا على الآخرة ، فجاءت للتذكرة حتى لا يركن الإنسان إلى الدنيا ويترك الآخرة ، كشفت الخطبة عن حال الدنيا وإغراءها بأهلها ، وقد تحقق هدف الخطبة نتيجة ما يلي :

١) الإفهام نتيجة وضوح الألفاظ والعبارات.

٢) الإمتاع باستخدامه لعلم البيان والبديع من الصور البلاغية الجميلة والموسيقى غير المتكلفة.

٣) الإقناع وقد ظهرت نتيجة تلوينه أساليب الكلام من الخبري إلى الإنشائي واستخدامه لأساليب النفي والشرط وغير ذلك من مسائل علم المعاني.

## المحور الثاني : من حيث العاطفة وأثرها على التعبير

والخطبة تتسم بالصدق الفني مفعمة بالمحبة يظهر فيها تحمله بالمسئولية، استطاع الخطيب أن ينقل أحاسيسه ومشاعره إلى الآخرين.

فهي مؤثرة بما تحمله من معان سامية ولأسلوبها الديني جعل الخطبة خالدة إلى يومنا هذا ، لم يكن هناك مجال للجنوح في الخيال ؛ لأن الخطيب كان واقعي صادق العاطفة وما جاء به من صور بلاغية ومحسنات بديعية فهي عفوية غير متكلفة ، جاءت لتجسد المعاني وتجمل الخطبة ، فالعاطفة صادقة لأنها عاطفة نصح وتوجيه وإرشاد ، فظهر ذلك طوال الخطبة وقد اكتسب الألفاظ والمعاني ما يوحي بهذا النصح فاعتمد على الجمل الخبرية وأحياناً الجمل الإنشائية ، ويغير في الأساليب البلاغية.

استطاع الخطيب أن ينظم الألفاظ والعبارات في دقة وإحكام فكان أسلوبه خطابياً موجزاً يمتاز بالسلاسة والوضوح ليس به غريب وحشي ، أو سوقي ، أو مبتذل ، أو غموض ، أو تعقيد أو تكلف ، فألفاظه مختارة موحية ، عميقة الدلالة ، جملة قصيرة تعبر عن المعنى الكثير بالألفاظ اليسيرة ، اعتمد على الإيجاز والتوكيد ، والوضوح ، وعلى قوة المعنى مع رصانة الألفاظ ؛ لتعكس لنا عقلية الخطيب بأسلوبه المحكم الجزل الدقيق التصوير ، كما نجد أن الخطيب آثر ألفاظ دون غيرها ، وهذا ما يسمى بائتلاف اللفظ مع المعنى وفائدته " حسن السمع في الكلام وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليه من حسن الصورة وطريق الدلالة .[١]

فالنص واضح بشكل إجمالي والتراكيب متسلسلة متناسقة يأخذ بعضها برقاب بعض ، تقرأ فكرة ولا تكاد تنتهي حتى تسلمك إلى أخرى الألفاظ موحية بكل المعاني أبرزت خباياها وترجمت من مشاعر الخطيب وانفعالاته أدق تعبير.

---

(١) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ ٨٨

## المحور الثالث : من حيث الأساليب البلاغية

تنوعت البلاغة في الخطبة وحكت ضرباً من العمق البلاغي لإقناع المتلقى، وتنوعت الأساليب ليضمن الخطيب عدم انصراف جمهوره عنه وهو ما يكشفه الحوار التقريري وكثرة صيغ الإستفهام وأساليب التوكيد ، وليأكد العظة والإعتبار وزع الجمل بين الإنشائية والخبرية.

فبدأ الخطبة بأسلوب خبري خرج عن معنى الإخبار إلى الترهيب والتحذير وختم بأسلوب إنشائي استقى مادته اللغوية الدالة على جوهر الموقف فأجاد تصنيفها من خلال صيغ المجهول حيث يتعلق الأمر بالضعيف ، أسلوب الخطبة بلاغي يتكي على منطقي الإقناع والإمتاع وإقامة الحجة.

أما العلوم البلاغية انتشرت وتنوعت في الخطبة فالخطبة كلها راقية عالية تسمو بذوق المتلقى ، وفيما يلي بيان موجز لبعض الموضوعات البلاغية التي استخدمها الخطيب.

### أولاً : علم المعاني :

جاءت ألفاظ الخطبة المفرد والمركبة فصيحة خالية من العيوب المخلة بفصاحة الكلمة أو الكلام ، مع مطابقتها لمقتضى الحال ، فوصل المعنى إلى القلب في صورة حسنة جلية كثرت الجمل الخبرية على الإنشائية ، لأنه كان يقرر واقعاً وحقائقاً ، واختلفت أحوال المخاطبين فكان الخبر يلقي أحياناً بلا مؤكد ، وأحياناً بمؤكدات ، كثرت الأفعال المضارعة التي تدل على التجدد والحدوث وأيضاً الأفعال الماضية لدلالة تحقق الوقوع ، والجمل الإسمية التي تدل على الثبوت والدوام.

استخدم الأساليب الإنشائية وقصد منها المعاني البلاغية ؛ ليمزج بينها وبين الأسلوب التقريري فيدور معظمها حول " الإستفهام " وكانت أغراضه تدور حول التقرير كما في قوله : " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً

وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً " فالإستفهام جانب بارز من جوانب المنهج الخطابي الدقيق الذي يكشف عن ذهن حاضر ورأي سديد.

أو تدور حول التوبيخ والتقريع كما في قوله : " أَفَهَذِهِ تُؤْثُرِوُن أَمْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُون أَمْ عَلَيّهَا تَطْمَئِنُون " أو تدور النفي كقوله : " هل زودتهم الإ الشقاء؟

أو التكثير كما في قوله : " كَمْ مِنْ وَاثِقْ بِهَا قَدْ أَفْجَعَتَهُ وذِيّ طِمَأْنِيَنَة إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِيِّ اخْتِيَالِ فِيْهَا قَدْ خَدَعَتْهَ ، كَمْ مِنْ ذِيِّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيَرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وكَمْ مِنْ ذِي تَاَجِ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفْمَ " ، والجملة الخبرية كثرت في الخطبة من بدايتها إلى نهايتها.

وقد تنوع أسلوب الخطبة حيث استخدم الخطيب أحوال اللفظ العربي المختلفة التي بها يطابق مقتضى الحال فكان من أحول المسند إليه والمسند الحذف والذكر والتعريف والتنكير الذي جاء بلا تكلف ليضيف الحركة والتنوع.

كان التعبير بالخبر في موضع الإنشاء كما في قوله : " عَصَمَنَا الله وَإِيَّاكُمْ بِطَاَعْتِه ورَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ ".

استخدم صيغ المبالغة " فعالة " في قوله " غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوْانَةٌ غَذْاَرَةٌ ، أَكَّالَةٌ غَوَالَةٌ بَذِلَةٌ نَقَالَةٌ " للمبالغة في إبراز قبح وسوء الدنيا فعدد الخطيب الصفات لموصوف واحد " الدنيا " ليكشف خداع الدنيا وقبحها.

استخدم اسم الفاعل " وَحَائِلَةٌ زائِلَةٌ وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ " للدلالة على الثبوت والدوام.

حذف المسند إليه كما في قوله : " غرارة ، خوانة ، حائلة ..... ، نافدة ، أكالة " للإيجاز ولضيق المقام عن الإطالة في الكلام.

استعان بصيغ الشرط " إذا " ليفيد الترابط والتلازم في تركيب الجملة وربط بعضها ببعض ؛ لبيان أهمية الخبر وإفادة ثبوت الحكم ، كما في قوله " إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ " بين عدم دوام حال الدنيا وسرعة تقلبها خداعها وتضليلها لأهلها.

كما استخدم أداة الشرط " إن " التي تستعمل في الأمر المشكوك ، كما في قوله : وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي " وقوله : " وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبَها تَبْعاً " وقوله : " إن أخصبوا لم يفرحوا " " وإن أقحطوا لم يقنطوا " فأسلوب الشرط بين عدم دوام حال الدنيا وتقلبها.

وأيضاً استخدم التعريف والتنكير ، التعريف في " الدنيا ، الشهوات ، بالقليل ، بالعاجلة ، بالآمال ، بالغرور ، حيرتها ، فجعتها ..... " ، والتنكير كما في قوله " منتصرة ، خاذلة متنكرة ، غرارة – ضرارة ، خوانة ، غدارة ..... "

كثرت الحمل المفصولة والموصوله ؛ لكثرة فوائده وعظيم خطره ، ولتوصيل المعنى إلى المتلقى فكان كمال الإتصال ، وكمال الإنقطاع بدون إيهام خلاف المراد ، وكان شبه كمال الإتصال ، كما كان التوسط بين الكمالين مع عدم الجامع في الفصل ومع وجوده في الوصل ، وكان لذلك أثره في شيوع الأسلوب ، ودليلاً على قدرات الخطيب ، فاستخدم الفصل والوصل في خطبته بكثرة لما لهذا الفن في مكانه رفيعة عالية في البلاغة العربية ، " فما علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه أنه خفى وأغمض ودقيق وصعب إلا وعلم هذا الباب أعمق وأخفى وأدق وأصعب ".[١]

(١) دلائل الإعجاز ٢٣١

كان للقصر خاصة " النفي والاستثناء " دوره في التأكيد ؛ لأنه يخاطب المقبل على الدنيا والغافل عن الآخرة فحالة كحال الجاهل بالأمر أو المنكر ، ولذلك خاطبه بأسلوب القصر النفي والإستثناء كما في قوله : " مَعْ أَنْ امْراءَاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ، وَلَمْ يَلْق مِنْ سَرَائِها بَطْنَاً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْرَاً " ، ليربط بين سرور الدنيا وإساءتها ، فالإساءة أكثر بكثير من السرور وقوله : " هَلْ زَوَدَتْهُمْ إِلاِّ الشفاء وأَحَلْتُهُم إِلاَّ الْضَنْكَ أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُلْمَةَ أَوْ أَعْقَبَتْهُمُ إِلاَّ النْدَامَة ".

كما سلك القصر طريق المعاني المجازية كما في قوله : " وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءِ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءِ " مستنداً الصورة من عالم الطبيعة ليدل على إن إساءة الدنيا أكثر من إحسانها .

" فالقصر حين يسلك المعاني المجازية ويتبادلها بالعبارة ترى فيه من الغموض والدقة بمقدار ما فيه من تأثير وقوة الأداء "[١].

كما استخدم أسلوب الشرط مستمداً من عالم الطيور كما في قوله : " لَمْ يَمْس اِمَرء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفِ " ليدل على أن الخوف في الحياة من الأمن ولذلك عبر بالأمن بالجناح وهو مفرد وعبر عن الخوف بما هو أكثر من الجناح وهو القوادم وهي جمع.

حظيت الخطبة بالإيجاز سواء أكان إيجاز حذف أو قصر والإطناب من طريق التذييل غير جار مجرى المثل والإيضاح بعد الإبهام والتكرار ، فكان الخطيب من العارفين بمواقع الكلام ، فلم يستعمل الإيجاز في موضع الإطناب ، أو العكس ، وهذا ما يجعل الخطيب من العارفين بمواقع الكلام وعالم باحتمال المخاطبين له.

---

(١) دلالات التراكيب ص ٢٦ ، أ. د / محمد أبو موسى

**ثانياً : علم البيان :**

جعل الخطيب الصور والأخيلة من أهم الوسائل التي نقل بها تحـذيره وخوفه على اتباعه نقلاً جاذباً مؤثراً لم يكتف بالتصوير البياني عن طريق التشبيه والمجاز والكناية بل مزجه بالتصوير والحركة

١. التشبيه المؤكد حين استمد تشبيه من عالم الطبيعة ( غيثة ، مزنة ، تطـل ، أهطلت ) ، تشابك مع القصر كما في قوله : " لَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءٍ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ " كما في قوله : " غيثة رخاء ، ومزنة بلاء " ، من إضـافة المشبه به للمشبه ، فالمشبه صار عين المشبه به بلا تفاوت.

٢. كان للإستعارة المكنية النصيب الأوفر حيث استخدمها الخطيب ، فأنطق بهـا كل الجمادات ، صور المعنويات في صورة المحسوس واستمد الإستعارة من عالم الطيور في قوله : " لَمْ يَمْس اِمرَء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَـا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفِ " ، فالإستعاة المكنية بما فيها من تشخيص دلت على سعة خيال الخطيب وعلى قدرته على الإبتكار والإبداع.

حين صور الدنيا بأنها " حُلْوة خَضْرَة ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالقَلِيلِ ، وَتَحَبَبَتْ بَالْعَاجِلَة ، وَحُلِّيْت بِالآمالِ ، وَتَزَيّنَتْ بِالغُرورِ " وذلك ليكشف خداع الـدنيا وغرورها بأهلها وقوله " تزينت بـالغرور " ، وقولـه : " أَرْهَقَـتْهُم بِـالفَوَادِحِ وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَوَائِبِ ، وَعَقَرَتْهُمْ بِالمَصَائِبِ " وهذا كله ليدل على إيـذاء الـدنيا لأهلها وأنها لا تقبل عليهم بخير ومن كنايته الخطبة كلها كناية عن سـوء حـال الدنيا وعن سوء اختيار الإنسان لها.

فمثلاً قوله : " لَا تَدُوم حَبْرَتها وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا " كناية عـن عـدم دوام حالها وعدم الأمن والثقة فيها لقوله " غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ خَوْانَةٌ غَذَارَةٌ " كنايـة عـن سوء حالها وكذلك قوله " أكالة ، غوالة ، بذلة ، تقالة "

وقوله " مَعْ أَنْ امْراءاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ، ولَمْ يَلْق مِنْ سَرَائِها بَطْنَاً إلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْرَاً ، ولَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءٍ إلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ " وقوله : " لم يمس امرؤ منها في جناح أمن إلا أصبح على قوادم خوف " وهذا كناية عن غدر الدنيا وقبحها ، ليدل على أنها إذا أحسنت فسرعان ما تنقلب إلى إساءة كبيرة مضرة ، فسرورها غير دائم بل بعده الحزن والألم وإساءتها متتابعة متتالية أكثر من مسرتها.

وقوله : " كَمْ مِنْ ذِيٍّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيَرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاَجٍ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفَمْ " وهذا كله كناية عن غدر الدنيا والكناية من الأساليب البيانية التي تدل على قوة البليغ وفصاحته وهي لا تقل في التأثير عن تأثير الإستعارة ، فالمجاز والكناية من مقتضات النظم.

**ثالثاً** : **علم البديع** :

١. جعل الخطيب الإيقاع الصوتي أساساً لصنعته فكانت الموسيقى العذبة مع خوفه على أتباعه فقدم إيقاع يلفت الانتباه،لم يأت المحسن البديعي غرضاً لذاته بل تفاعل معه التراكيب والصور

٢. جاءت براعة الإستهلال في تحذيره من الدنيا ، فأفصح الخطيب عن مراده بأول جملة ، ثم جاء الإقتباس ، ومراعاة النظير ، والمقابلة ، والطباق ، وتشابه الأطراف ، والإرصاد والتسهيم ، وأخيراً أحسن الإنتهاء وبراعة المقطع حينما أنهى خطبته بالتحذير من الدنيا والدعاء لأتباعه " فَاحْذَرُواَ ما حَذَّرَكُمْ الله وَانْتَفَعُوا بِمَوَاعِظِهِ ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ ، عَصَمَنا الله وَإِيَّاكُمْ بِطَاعْتِه ورَزَقَنا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ.

١- فما ذكره من الآيات القرآنية فهو الاستشهاد والإستدلال :

فمن القرآن الكريم "كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا "(١)، " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "(٢) ، "مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون ، أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون "(٣) ،"أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون " (٤) ، " لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين" (٥) ، " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين " (٦) ثم الإقتباس اقتبس الخطيب من القرآن الكريم " كبته " مقتبس من قوله تعالى : " كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ "(٧) ، والخطيب مقتبس هذه الجملة " عَذْبُهَا أُجَاجٌ " من قوله تعالى : " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ "(٨) فالألفاظ المقتبسة من القرآن تزيد الكلام قوة وبلاغة ، وتضفي عليه حسناً وجمالاً وبهاءً ، فترى تأثر الخطيب بألفاظه ببعض الصيغ القرآنية.

والخطيب اقتبس هذا التصوير " مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيمُهَا مَنْكُوبٌ " من قوله تعالى : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ

---

(١) سورة الكهف الآية ٤٥
(٢) سورة النجم الآية ٣١
(٣) سورة هود الآية ١٥ ، ١٦
(٤) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ، ١٢٩
(٥) سورة القصص الآية ٥٨
(٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٤
(٧) سورة المجادلة آية ٥
(٨) سورة فاطر آية ١٢

بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون " (١)

والخطيب اقتبس هذه الفقرة من " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعَبَّدُوا لِلْدُنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثرَوُهَا أَيَّ إِيثَار وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَار " قوله تعالى " وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال " (٢)

ومن قوله تعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا "(٣) ، والخطيب اقتبس قوله " وصفها الله " باللعب واللهو " من قوله تعالى : " فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو " ، ولفظ استبدلوا مقتبس من قوله تعالى : " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ "(٤) ، واقتبس جملة " فارقوها كما جاءوها حفاة عراة فرادى " من قوله تعالى : " ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة "(٥) ، والجملة " وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ " مقتبسة من قوله تعالى : " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا " (٦) ، فالآيات لهدف العظة والتذكرة حتى لا يركنوا إلى الدنيا، والإقتباس واضح من أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – في قوله : " حلوة ، خصرة " جفت بالشهوات من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها

(١) سورة يونس آية ٢٤
(٢) سورة إبراهيم آية ٤٥
(٣) سورة محمد آية ١٠
(٤) سورة البقرة آية ٦١
(٥) سورة الأنعام آية ٩٤
(٦) سورة آل عمران آية ١٠٣

فينظر كيف تعملون " وقوله : صلى الله عليه وسلم "[١] جفت الجنة بالمكارة وجفت النار بالشهوات " [٢].

٢- كان لمراعاة النظير فضل في تحسين الكلام ، وائتلاف الألفاظ ، وسلاسة الأسلوب كما في قوله : " حُلِّيْت ، تزّيَنَتْ " وقوله " اعْذَوْذَبَ وَاْحْلَوْلَي " ، " لأن التناسب عنصر أساسي في بلاغة الكلام وعامل معنوي في حسنة وجودته فالكلام البليغ ينبغي أن تأتلف ألفاظه وتتلاءم معانيه ، وينتظم في نسق بديع متلائم الأجزاء متناسب الدلالات "[٣] ، وقوله أيضاً : " غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا ، نعما " وقوله : " أرهقت ، وضعضعت ، عقرت " وقوله : " الفوادح ، والنوائب ، والمصائب " وقوله : " الضريح ، التراب ، الرفات ".

٣- المقابلة : قابل الخطيب بين حالين في الخطبة حال من أقبل على الدنيا فهو خاسر وحال من أدبر عنها وزهد منها فهو فائز والمقابلة بين الحالين كانت بأكثر من أسلوب منها :

١- المقابلة أسلوب القصر عن طريق النفي والإستثناء كما في قوله : " لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة ، وَلَمْ يَلْق مِنْ سَرَائِها بَطْنَاً إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرائِهَا ظَهْرَاً ، وَلَمْ تُطِلْهُ غَيْثَةُ رَخَاءِ إِلاَّ أَهْطَلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءِ " وقوله : " وَلَمْ يَمْس اِمرَء مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْن إِلَّا أَصْبَحَ مِنْهَا عَلَى قَوَادِمْ خَوْفِ".

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ، حديث رقم ٧٤ ج ٢٠٩٨ /٤ حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها حديث رقم ٨٢٢ ج ٤/٢١٧٤ حديث صحيح.

(٣) دراسات منهجية في علم البديع ص ٨٤ أ.د الشحات أبو ستيت دار الخفاجي للطباعة والنشر القليوبية ، ط ألأولى ١٤١٤ هـ ، ١٩٢٤ م.

فالنفي والإستثناء قابل بين حالين بين سرور الدنيا القليل وبين إساءتها الكثيرة ، واستمد ذلك من حال الإنسان ومن علم الطبيعة ومن علم الطير لينوع في سبيل إقناع المخاطب.

٢- المقابلة أسلوب الشرط " مَنْ أَقَلَ مِنْهَا اسْتَكْثَرِ مِمَا يُؤْمِنْه وَمَنْ اسْتَكْثَر مِنْهَا اسْتَكْثَر مِما يُوبِقْهُ " فهو يقابل بين حال من يريد الإقلال من الدنيا أي من لم يقبل عليها ويأخذ منها القليل فقط كان سعيه متوج بالفوز والنجاة وبين حال من أقبل على الدنيا وركن إليها وانكب في شهواتها وملذاتها كانت عاقبته الهلاك والخسران ، فكشفت المقابلة عن هذا البون الشاسع بين الحالين.

٣- المقابلة باستخدام كم الخبرية مع قد والفعل الماضي والعطف عليها ، كما في قوله : " كَمْ مِنْ وَاثِقْ بِهَا قَدْ أَفْجَعَتَهُ وذِيّ طِمَأْنِينَة إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذِيِّ اخْتِيَالِ فِيْهَا قَدْ خَدَعَتْهَ ، كَمْ مِنْ ذِيِّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيَرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وكَمْ مِنْ ذِي تَاَجِ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفْمَ ".

فالخطيب يقابل بين حالين حال الإنسان المطمئن بالدنيا والمقبل عليها وبين حاله حينما تفجعه الدنيا باطمئنانه إليها وإقباله عليها ، فالصورة المقابلة في شخص واحد دلت على سوء اختياره وشتان بين الحالين حيث تكون الصورة في حالة الفاجعة أشد ألماً وإيجاعاً ، فمن وثق بالدنيا واطمأن إليها تفجعه بويلاتها وشدائدها ، فهي ليست أهلاً للثقة.

٤- كان للطباق دوره في إبراز المعنى وتأكيده وهو :

(أ) إما أن يكون طباق ظاهراً واستخدم فيه عدة أساليب منها :

١- الطباق باستخدام إيجاز القصر كما في قوله : " عَذْبُهَا أُجَاجٌ " فالطباق بين " عذب وأجاج " ساعد في وضوح المعنى وإبرازه حين شبه نعيم الدنيا بالماء الذي يظهر عذباً وهو أجاج فالتضاد ساعد في توكيد المعنى وإبرازه من خلال

إيجاز القصر ، وكما في قوله : " حُلْوُهَا صَبْرٌ " حيث شبه نعيم الدنيا بشيء ظاهره حلو وهو في الحقيقة صبر ليدل على خداع الدنيا وتضليلها لأهلها ، فالطباق أكد المعنى وأبرزه ، وكما في قوله : " حَيْهُا بِعَرْضِ مَوْتِ وَصَحِيْحُهَا بِعَرْضِ سَقْمِ " فالطباق وضح الفرق بين حال الإنسان فيهما فالضد يستدعي بعضه وأقرب خطوراً بالبال إذا ذكره ضده.

٢- استخدم اسم المفعول كما في قوله : " مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيْزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيْمُهَا مَنْكُوبٌ " فطابق بين " مليكها " وبين " مسلوب " وبين " عزيزها " وبين " مغلوب " وأيضاً بين " سليم " وبين " منكوب " فاستخدم الخطيب اسم المفعول الذي يهتم بظهور المفعول دون الفاعل ليظهر حال الدنيا من السلب والغلبة والنكبة.

(ب) أو يكون طباق خفياً كقوله : " تَدُوم حَبْرَتها وَلا تُؤْمِن فَجْعَتْهَا "" حبرتها ، فجعتها " فالحبرة السرور وهو ضد الحزن المسبب عن الفجعة كقوله : " مع أن امرءاً لم يكن منها في حبرة إلا أعقبته بعدها عبرة " فكان الطباق الخفي " حبرتها ، فجعتها " أثره في توضيح المعنى وتأكيد مراد الخطيب.

**٥- الجناس** :

كما في قوله : " مَعْ أَنْ امْراءَاً لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِيْ حَبْرَةٍ إِلاْ أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرة " فالجناس بين " عبرة " وبين " حبرة " وهو جناس غير تام مضارع لأن الحرفين المختلفين " العين والحاء " بينهما تقارب في المخرج فهما يخرجان من أقصى الحلق فالخطيب وظف الجناس في خدمة المعنى وكذلك السجع ليعطي الموسيقى الداخلية ويسهم تحقيق جذب الأنتباه.

كما ترى رد العجز على الصدر ليعطي موسيقى داخلية تطرب لها الآذان وتسهم في تحقيق جذب الأنتباه.

**٦- السجع** :

**الخطبة كلها مسجوعة ، فالإيقاع الصوتي أساس صنعة الخطيب ، فالموسيقى العذبة امتزجت مع الأحاسيس والمشاعر والخيال ، وقدمت لنا خطبة ذات إيقاع يضفى الحيوية على الكلام ، ويلفت الانتباه.**

**ويقول د / شوقي ضيف عن الخطبة ، وواضح ما فيها من جمال اللفظ وروعه أسره وقد اختار لها قطري السجع حتى يؤثر في نفوس سامعيه أقوى تأثير ، ولم يكتف بالسجع بل أضاف إليه التصوير ، كما أضاف الطباق حتى يبلغ ما يريد من تنسيق معاينه " (١)**

---

**(١) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي : ٤١٢ د / شوقي ضيف ط الثامنة**

# الخـــاتـــمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمـــه للعـــالمين ، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه أجمعين.

## أما بعد

فهذه خاتمة هذا البحث الذي حاولت فيه تحليل الخطبة تحليلاً بلاغياً نقـــدياً لإستخراج ما فيها من كنوز بلاغية ، وهذه أهم النتائج :

١- اتخذت الخطبة من المادة الدينية أساساً لتأكيد مضمونها ، كشفت الخطبة عن حرج الموقف مما دفع الخطيب إلى الدخول في نص الخطبـــة دون مقـــدمات أو تمهيد ، فافتتح الخطبة بالجملة الإسمية ، للدلالة على الثبـــوت والـــدوام قاصداً التحذير ؛ خوفاً على أتباعه من الإنسياق وراء الدنيا وملذاتها فأراد أن يوقظهم من سباتهم بهذا التحذير.

٢- استطاع الخطيب أن ينظم الألفاظ والعبارات في دقة وأحكام ليصل إلى هدفـــه في التذكير والوعظ والتحذير ، اختار تعبيرات دون غيرهـــا لفائـــدة ، تـــرى أسلوبه خطابياً موجزاً خالي من العيوب التي تخل بفصـــاحة الكـــلام ومـــن العيوب التي تخل بفصاحة الكلام من مطابقتها لمقتضى الحال ، فاستقى مادته من القرآن الكريم فكان نبوغه وظهرت دقة اختياره لآيات الإستدلال ليـــأتي بتعليقه عليها تفصيلاً لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً في حتمية الموت كما في قوله :

" كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِـــيمًا تَـــذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا "(١) ، " لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُـــوا

(١) سورة الكهف الآية ٤٥

وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى "(١) ، " مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُون ، أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون " (٢) ، " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُون ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون " (٣) ، " لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِين" (٤)، " كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين "(٥)

استقى مادته أيضاً من الإقتباس ولفظ " كبته " مقتبس من قوله تعالى : " كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ "(٦)، والخطيب مقتبس هذه الجملة " عَذْبُهَا أُجَاجٌ" من قوله تعالى : " وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ "(٧) فالألفاظ المقتبسة من القرآن تزيد الكلام قوة وبلاغة ، وتضفي عليه حسناً وجمالاً وبهاءً ، فترى تأثر الخطيب بألفاظه ببعض الصيغ القرآنية ، والخطيب اقتبس هذا التصوير " مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَسَلِيمُهَا مَنْكُوبٌ " من قوله تعالى : " إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون " (٨) ، والخطيب اقتبس هذه الفقرة من " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعْمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيدًا

---

(١) سورة النجم الآية ٣١
(٢) سورة هود الآية ١٥ ، ١٦
(٣) سورة الشعراء الآية ١٢٨ ، ١٢٩
(٤) سورة القصص الآية ٥٨
(٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٤
(٦) سورة المجادلة آية ٥
(٧) سورة فاطر آية ١٢
(٨) سورة يونس آية ٢٤

وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْتَدُ عُنُوداً ؟ ، تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبْد وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَار وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالْصِّغَارِ " قوله تعالى " وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَال " (١)

ومن قوله تعالى : " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا "(٢)

والخطيب اقتبس قوله " وصفها الله " باللعب واللهو " من قوله تعالى : " فإنما الحياة الدنيا لعب ولهو "، ولفظ استبدلوا مقتبس من قوله تعالى : " أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ "(٣)، واقتبس جملة " فارقوها كما جاءوها حفاة عراة فرادى " من قوله تعالى : " ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة "(٤)، والجملة " وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ " مقتبسة من قوله تعالى : " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا " (٥) بالسنة النبوية كما في قوله : " فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات " ، وأيضاً الأمثلة من واقع الحياة التي عاشها أصحابها ، ثم استقى مادته أخيراً من عالم الطبيعة ، والنبات ، والطيور ؛ لينوع في الأساليب لإقناع المتلقى.

٣- علاقة الخطيب بأتباعه علاقة صحيحة حسنة ، فتوجه إليهم توجهاً دينياً فظهر حرصه على أتباعه فارتدى ثوب الواعظ لإحساسه بخطايا النفس البشرية ونقائضها فترى فيه سلامة المنطق والقدرة على الإقناع بالحجة.

٤- اعتمد الخطيب في إقناع أتباعه على الحجة والدليل عمد إلى تعميم الخطاب ، الخطيب مفوه وبليغ ، أحس بفداحة ركون أصحابه إلى الدنيا .

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤٥
(٢) سورة محمد آية ١٠
(٣) سورة البقرة آية ٦١
(٤) سورة الأنعام آية ٩٤
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٣

٥- كان الخطيب واضح الأداء من بداية الخطبة إلى نهايتها فلا تكاد تحس بتراخي أو ضعف في مستوى الأداء .

٦- الخطبة لها متعلقان المتعلق الأول : هو الإنسان بصفة عامة ليذكره حيث أن الذكرى تنفع المؤمنين ليقبل على ألآخرة ولا ينشغل بالدنيا وملذاتها

والمتعلق الثاني : هو اتباع الخطيب الذين يوجه لهم الخطبة ليحثهم على الجهاد بتنفير الدنيا وتقبيحها ليزهدوا فيها فيواجهوا أعداءهم بكل قوة وشجاعة.

٧- غلب على الخطبة الأساليب الخبرية للتوضيح والتقرير وفي بعض الأحيان كان كلامه على خلافه مقتضى الظاهر ليوضح حقيقة المتحدث عنهم ، ويشير انتباه المخاطبين.

٨- استخدم الخطيب أساليب إنشائية وقصد منها المعاني البلاغية ، فنوع أسلوبه بين الأساليب الخبرية والإنشائية ليكون أعمق أثراً وأكثر دلالة ، وليضمن الإقناع والتأثير في مخاطبيه.

استعان الخطيب بصيغ الشرط الدالة على حرصه على جمهوره مما يعكس إحساسه بالمسئولية لخوفه على أتباعه ليظهر تقلب الدنيا وعدم دوامها كما في قوله : " إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرة أَنْ تُمْسِي لَهُ خَاذِلَةُ مُتَنَكِرَةُ ، وَإِنْ جَانَبَ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَي أَمَرَ عَلَيْهِ جَانِبُ وَأَوْبَي ، وَإِنْ أَتَتْ امْرَاءاً مِنْ غَضَارَتْهَا وَرَفَاهَتْهَا نِعَمْاً أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبَها تَبْعاً "

ظهرت قدرات الخطيب المنطقية برصده الموازنات بين الأشياء واستقى مادته اللغوية.

٩- استخدم أسلوب القصر ليلحق الغرض من تأكيد المعنى وتقريره ، وخص من طرائقه النفي والإستثناء لأنه يخاطب الغافل عن الأخرة والمقبل على الدنيا بكل شهواتها وملذاتها فحكمه الجاهل بالأمر والمنكر له.

١٠- عمد الخطيب إلى استخدام الفصل لكثرة فوائده وعظم خطره ؛ ليظهر إتمام اتصال الجمل ؛ لأن الجمل يكمل بعضها البعض ، وكان هذا دليلاً على قدرات الخطيب وكان له أثره في تنوع الأسلوب وتوضيح رؤية الخطيب مع إزالة الملل من نفس المخاطب.

١١- عبر الخطيب بالخبر في موضع الإنشاء كما في قوله " عصمنا الله ورزقنا " وهذا كان له أثر في ثراء الأسلوب ودلالته على فهم الخطيب للغة.

لجأ الخطيب إلى الحوار مع جمهور ليضمن الفهم والإستيعاب من خلال صيغ الإستفهام كقوله : " أَلَسْتُمْ فِيِّ مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ أَطْوَلُ مِنْكُمْ أَعمَاراً وَأَوْضَح مِنْكُمْ آثَاراً وَأَعَدُّ عَدِيْدَا وَأَكْثَفُ جُنُوداً وَأَعْنَدُ عُنُوداً ".

ومن نفس المنطق الوعظي للخطبة يوجههم الخطيب إلى التنافس في الجهاد مؤكداً حواره بالجمل التقريرية والتوكيدات ليؤكد أن بقاء الدنيا قليل في مقابل الخلود في الآخرة.

وأيضاً تأكدت لغة الحوار من خلال منطق التكرار كقوله : " كَمْ مِنْ ذِيٍّ أُبهَة بِهَا قَدْ صَيَرَتْهُ حَقِيْرَاً وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيْلاً ، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ قَدْ كَبَتْهُ لِلْيَدَيْن وَالفْمَ ".

فدل التكرار على مزيد من حرص الخطيب على أتباعه في كشف خداع وتظليل الدنيا لأهلها فهي ليست أهلاً للثقة وهذا يدل على قبحها وخداعها وسوء اختيار الإنسان لها عن الآخرة.

فالتكرار أسلوب فني يضمن سيطرة الخطيب على جمهورة للنشر أفكاره.

١٢- استخدم الخطيب صور الإطناب في موضعها فكان له بلاغته وكذلك كان للإيجاز بلاغته.

١٣- جاءت كل صورة من التصوير البياني في موضعها المناسب لتكون أكثر دلالة في إيضاح المعنى.

ففي التشبيه استخدم تصوير المعنويات في صورة المحسات بإحدى الحواس ، كما صور المعنوى ، وكان للإستعارة المكنية الحظ الأوفر عن علم البيان فيشخصها أو يجسدها ويخلع السلوك الإنساني عليها.

وكذلك الكناية ، ولم يقتصر التصوير على الفنون البيانية من تشبيه ومجاز وكناية وإنما تجاوزها إلى التصوير بالموازنة والمقابلة والتصوير بالموسيقى ومزجه بالحركة واستمد تصويره من عالم النبات والطبيعة والطيور فلجأ الخطيب إلى المجاز رغبة منه في تجلية الصور حتى تصل إلى القلوب فتحركها.

١٤- وظف الخطيب المحسنات البديعية لإيصال هدفه إلى المتلقى فلم يذكر غرضاً لذاته بل تفاعلت مع التراكيب والصور ، وجاء كل من المقابلة والطباق ورد العجز على الصدر والجناس والسجع بصور مطبوعة بعيدة عن التكلف منها أسهم في تحسين الصورة وتزينها فبدت الجمل متوازنة مقطعة صوتياً أعطى للخطبة بعداً متميزاً في ترابطها وتشكل أفكارها ، وهذا فضلاً عن حسن الإبتداء وبراعة الاستهلال في التحذير في الدنيا ، وأنهى خطبته بحسن الإنتهاء وبراعة المقطع في الدعاء لمخاطبيه.

فالإيقاع الصوتي قرع ألآذان وكأن الخطيب يريد ألا يغفل المتلقى عن غدر الدنيا وضررها قبل الموت.

وأخيراً ..... فهذا بيان موجز لأهم ما توصلت إليه ، وأرجو من الله – عز وجل – أن أكون وفقت في فهم الخطبة وتذوقها من الناحية البلاغية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

**د/ عايدة عبد العزيز محمد زعلوك**

## المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية د/ أحمد علي محمد

٣- أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد رشيد رضا ومحمود شاكر.

٤- أسرار التكرار في القرآن تأليف محمد بن حمزة نصر الكرماني، تحقيق عبد القاهر أحمد عطا، ط الأولى، دار الإعتصام

٥- الأدب العربي ، العصر الإسلامي والأموي ، أ.د/ عبد الرحمن عبد الحميد دار الكتب الحديث.

٦- البرهان في علوم القرآن تأليف بدر الدين عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة المكتبة المصرية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧- بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

٨- بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري تحقيق فتحي محمد شرف ، الطبعة الثانية ، طبعة دار نهضة مصر.

٩- البلاغة والسلطة في المغرب لعبد الجليل ناظم دار توبقال للنشر المغرب ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

١٠- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية أ.د/ محمد أبو موسى ، طبعة دار الثقافة ، ط الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١١- البلاغة النبوية د/ محمد رجب البيومي ، ط الدار المصرية اللبنانية ، القاهر ، ط الأولى ٢٠٠٨ م.

١٢- تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، د/ شوقي ضيف ، الطبعة الثامنة.

١٣- البيان والتبين للجاحظ ، دار الكتب المصرية الجزء الثاني والثالث.

١٤- التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – تونس.

١٥- التكرير بين المثير والتأثير لعز الدين السيد ، ط الثانية ، دار الكتب المصرية ١٩٨٦ م.

١٦- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ( الخطابي – الرماني – عبد القاهر الجرجاني ) ، ط دار المعارف.

١٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد السيد الهامشي ، ط الثانية عشر دار الفكر.

١٨- جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف مصر.

١٩- حاشية الشهاب علي البيضاوي المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي تأليف علي أحمد بن محمد بن شهاب الدين ، طبعة دار صادر.

٢٠- دراسات منهجية في علم البديع دار الشحات محمد أبو ستيت.

٢١- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م.

٢٢- دلالات التراكيب أ. د / محمد أبو موسى ، ط الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧ م.

٢٣- ديوان حماسة أبي تمام شرح التبريزي.

٢٤- العقد الفريد تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه حققه وعرف أعلامه الدكتور محمد التونجي ومحمد سعيد العريان

٢٥- الصبغ البديعي في اللغة العربية أ.د/ أحمد موسى ، دار الكتاب العربي ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٣ م.

٢٦- الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق د/ مفيد قمحة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م دار الكتب العربية.

٢٧- الطراز تأليف السيد يحيى بن حمزة العلوي ( طبعة دار الكتب العلمية ).

٢٨- علم البديع د/ بسيوني عبد الفتاح فيود.

٢٩- العمدة لابن رشيق القيراوني.

٣٠- عيون الأخبار لابن قتيبة.

٣١- فن البديع أ.د/ عبد الفتاح لاشين ١٩٨٤ م.

٣٢- قضايا الشعر المعاصر نازك الملائك دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٣ م.

٣٣- لباب البديع أ.د/ محمد حسن شرشر ط الأولى ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م.

٣٤- لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، دار الفكر .

٣٥- المعارف لابن قتيبة ، دار المعارف.

٣٦- المعاني في ظلال النظم القرآني أ/ هاشم الديب.

٣٧- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ط أولى ١٣٨١هـ.

٣٨- وفيات الأعيان لابن خلكات ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى – مطبعة السعادة – مصر ١٩٤٨ م.

# فهرس الموضوعات



| م | الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | المقدمة | ٦٤١١ |
| ٢ | تمهيد | ٦٤١٤ |
| ٣ | المبحث الأول : التحـذير مـن الـدنيا وذكـر صـفاتها واستشهاده من القرآن الكريم | ٦٤٣٢ |
| ٤ | المبحث الثاني : زوال نعيم الدنيا وفنائها | ٦٤٤٦ |
| ٥ | المبحث الثالث : اختيار الإنسان نجاته أو هلاكه | ٦٤٥٩ |
| ٦ | المبحث الرابع : التذكير بأكثر من اغتروا بالدنيا | ٦٤٦٣ |
| ٧ | المبحث الخامس : مظاهر تقلب الدنيا | ٦٤٦٨ |
| ٨ | المبحث السادس : تصوير مشهد الموت ويوم القيامـة ، واستشهاده من القرآن الكريم | ٦٤٧٩ |
| ٩ | المبحث السابع : حال المغتربين بالدنيا من الأقوام السابقة في الدنيا قبل الموت | ٦٤٨٤ |
| ١٠ | المبحث الثامن : حال الـدنيا بإدبارهـا وقسـوتها عـن المغتربين بها | ٦٤٨٩ |
| ١١ | المبحث التاسع : التنفير من الدنيا | ٦٤٩٥ |
| ١٢ | المبحث العاشر : حال المغتربين من الأقوام السابقة بعد الموت | ٦٥٠٦ |

| م | الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١٣ | المبحث الحادي عشر : ختام الخطبة | ٦٥٢٣ |
| ١٤ | المبحث الثاني عشر : تعقيب على الخطبة | ٦٥٢٩ |
| ١٥ | المحور الأول : من حيث فكرتها وهدفها | ٦٥٣٠ |
| ١٦ | المحور الثاني : من حيث العاطفة | ٦٥٣٣ |
| ١٧ | المحور الثالث : من حيث الأساليب البلاغية | ٦٥٣٤ |
| ١٨ | الخاتمة | ٦٥٤٦ |
| ١٩ | المصادر والمراجع | ٦٥٥٢ |
| ٢٠ | فهرس الموضوعات | ٦٥٥٥ |